AL-AZHAR UNIVERSITY
BULLETIN OF THE FACULTY
OF
LANGUAGES & TRANSLATION

جامعة الأزهر
مجلة كلية اللغات والترجمة

نوستالجيا المنفى

في رواية חופי אלכסנדריה (شواطئ الإسكندرية)

ليتسحاق جورمزانو جورن

دراسة في المضمون

د. ندا يسري علي
مدرس الأدب العبري الحديث
كلية الآداب
جامعة الإسكندرية

نوستالجيا المنفى
في رواية חופי אלכסנדריה (شواطئ الإسكندرية) ليتسحاق جورمزانو جورن
دراسة في المضمون

ندا يسري علي
قسم اللغات الشرقية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر.
البريد الإلكتروني: nood.noda@hotmail.com

الملخص:
منذ العصور الوسطى، تجمّع اليهود في (الجيتو) ليشكلوا حالة من الانعزال والاغتراب داخل المجتمعات التي يعيشون بينها، فتقوقع اليهود داخل الذات الجمعية اليهودية بعيدا عن الغرب المسيحي، حيث ساهمت الظروف في الغرب في بلورة اتجاه عدائي ضد اليهود بوصفهم أقلية دينية يهودية وسط أكثرية مسيحية. إلا أنّ التصورات الدينية اليهودية التي تتسم بالشعور بالتعالي على الآخر غير اليهودي/ الجوي قد أزكت ذلك الشعور العدائي تجاه اليهود المتقوقعين على ذواتهم داخل الجيتو، هذه التصورات الدينية ذاتها هي التي استقى منها مفكرو اليهود أفكارهم التي مهّدت – فيما بعد- للصهيونية. مثّلت تلك الأفكار وغيرها عقبة كؤود أمام الفرد اليهودي في الاندماج الحقيقي في المجتمعات التي عاش فيها، وربما كانت تلك الأفكار المغلفة بعباءة الدين السبب الرئيسي في فشل حركة الهسكالاه في أوروبا.
الكلمات المفتاحية: نوستالجيا، المنفى، الإسكندرية، يتسحاق جورمزانو، رواية.

Exile Nostalgia
In the novel Alexandria's beaches to Yitzhak Gormzano Gorn
Study in substance

Nada Yousri Ali
Department of Oriental Languages, Faculty of Arts, Alexandria University, Alexandria, Egypt.
Email: nood.noda @hotmail.com

Abstract:
Since the Middle Ages, the Jews gathered in the ghetto to form a state of isolation and alienation within the societies in which they live, so the Jews fell within the Jewish collective self away from the Christian West, where conditions in the West contributed to crystallizing a hostile trend against the Jews as a Jewish religious minority among the majority of Christianity. However, Jewish religious perceptions characterized by a feeling of transcendence over the non-Jewish / atmospheric have purified that hostile sentiment towards Jews who retreated to themselves within the ghetto. These same religious perceptions are those from which Jewish thinkers drew their ideas that later paved Zionism. These and other ideas represented a major obstacle for the Jewish individual in the real integration in the societies in which he lived, and these ideas, which were wrapped in the cloak of religion, may have been the main reason for the failure of the Haskalah movement in Europe.
Keywords: Nostalgia, Exile, Alexandria, Yitzhak Gormzano, Novel.

المقدمة

يمثل فن كتابة السيرة الذاتية أحد أهم الفنون التي انبثقت عن أدب المنفى؛ حيث يحاول المنفيُّ من خلال الكتابة تجسيد معاناته وشعوره بالاغتراب، والعثور على معنى لحياته التي يهيمن عليها شعور دائم بالحنين للوطن المفتقد بصوره وذكرياته.

بيد أنّ الشخصية اليهودية عانت منذ القدم وطأة الشعور بالاغتراب الدائم؛ فمنذ سقوط فلسطين في أيدي الرومان بدأ اليهود رحلة من الاغتراب النفسي والمكاني غذّتها الديانة اليهودية التي عدّت اليهود بعيدا عن فلسطين في حالة (شتات) دائم / دياسبورا.

ومنذ العصور الوسطى، تجمّع اليهود في (الجيتو) ليشكلوا حالة من الانعزال والاغتراب داخل المجتمعات التي يعيشون بينها، فتقوقع اليهود داخل الذات الجمعية اليهودية بعيدا عن الغرب المسيحي، حيث ساهمت الظروف في الغرب في بلورة اتجاه عدائي ضد اليهود بوصفهم أقلية دينية يهودية وسط أكثرية مسيحية.

إلا أنّ التصورات الدينية اليهودية التي تتسم بالشعور بالتعالي على الآخر غير اليهودي/ الجوي قد أزكت ذلك الشعور العدائي تجاه اليهود المتقوقعين على ذواتهم داخل الجيتو، هذه التصورات الدينية ذاتها هي التي استقى منها مفكرو اليهود أفكارهم التي مهّدت – فيما بعد– للصهيونية.

مثّلت تلك الأفكار وغيرها عقبة كؤود أمام الفرد اليهودي في الاندماج الحقيقي في المجتمعات التي عاش فيها، وربما كانت تلك الأفكار المغلفة بعباءة الدين السبب الرئيسي في فشل حركة الهسكالاه في أوروبا.

أمّا في المجتمعات الشرقية، نلاحظ تمتّع اليهود –لاسيما في العصور الحديثة– بقدر كبير من الحرية، فلم تكن (حارة اليهود) مكانا مغلقا على غرار الجيتو اليهودي في أوروبا، بل كان سكانها يتحدثون اللغة العربية ويدرسون في المدارس ذاتها التي يدرس فيها جيرانهم، بل إنّ كثيرا من اليهود الرأسماليين لم يسكنوا (حارة اليهود) وخالطوا المجتمعات العربية، بل احتلّ كثير منهم مراكز مرموقة.

وفي مصر تحديدا، سيطر كثير من تجار اليهود الرأسماليين على النشاط الاقتصادي المصري طوال النصف الأول من القرن العشرين، وبينما كان يهود أوروبا يتعرضون لموجات الاضطهاد منذ سنة 1942 واعتلاء هتلر الحكم في ألمانيا تمتّع اليهود في مصر وكثير من البلاد العربية بوافر الحرية، وتمّت معاملتهم أمام القانون على قدم المساواة مع باقي المواطنين.

والسؤال الذي يطرحه هذا البحث هل كان اليهودي المصري منتميّا بحق، أم أنّه عاش ممزقا بين هويتين لا يشعر بانتماء حقيقي للمكان؟

وإذا كان هذا اليهودي غير منتم، لم يلجأ للكتابة عن ذلك المكان الذي تركه صغيرا؟ فالكاتب (يتسحاق جورمزانو جورن) الذي سنتعرض بالدراسة لروايته (شواطئ الإسكندرية) ترك مصر وهو في العاشرة من عمره، ترى لم يكتب سيرة على لسان أبيه (أبراهام جورن) يحكي فيها قصته مع المكان؟

هل تتوفر في شخصية البطل (أبراهام جورن) سمات البطل المنفي دائما؛ ذلك البطل الذي حولته الديانة اليهودية إلى مغترب أينما حل؟ وهل تمثل كتابة (يتسحاق جورمزانو جورن) المفعمة بالحنين دليلا على اغترابه الشخصي عن إسرائيل؟

منهج الدراسة:

يتّبع البحث **المنهج التحليلي النقدي** في دراسة هذه الرواية، حيث استخدمت الباحثة طرائق هذا المنهج من تفسير ونقد واستنباط لرصد سمات نوستالجيا المنفى في الرواية محل الدراسة.

أمّا عن الدراسات السابقة فتتمثل في:

1- دراسة الأستاذ الدكتور/ محمد فوزي ضيف: صورة اليهودي المصري في الأدب العبري الحديث، دراسة في رواية (صيف سكندري) للكاتب يتسحاق جورمزانو جورن، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1995.

2- دراسة الأستاذ الدكتور/ زين العابدين أبو خضرة: صورة مصر في الأدب العبري الحديث، القاهرة، 2003.

3- دراسة الباحث/ رامي قمحي المرفقة برواية (شواطئ الإسكندرية)

חופי וולנסיה, על הטרילוגיה האלקסנדרונית מאת יצחק גורמזנו גורן.

4-د. أحمد الراوي: يهود مصر في الرواية العبرية المعاصرة عند عادا أهاروني من خلال رواية النيل للأردن- مجلة الدراسات الشرقية، العدد 28- 2002

5- د. نجلاء رأفت: صورة مصر في رواية (بلانش) لإسحق جورن، مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد السابع عشر، نوفمبر 2005.

6- د. جمال عبد السميع الشاذلي: صورة مصر في رواية (المنفيون) لديبورا بارون مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد السابع عشر، نوفمبر 2005.

7- د.أحمد الرواي: مصر عند أدباء العبرية ذوي الأصل المصري: مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، المجلد السابع عشر، نوفمبر 2005.

أمّا هذه الدراسة فتختلف عن الدراسات السابقة في عدة أمور؛ أولا: كونها تعنى بدراسة آخر روايات يتسحاق جورمزانو جورن عن الإسكندرية (شواطئ الإسكندرية)، وهي لا تهدف كغيرها من الدراسات إلى بيان رؤية الكاتب لصورة اليهودي المصري، أو رؤيته لمصر، لكنها تعنى

بدراسة الرواية بوصفها نموذجا لكتابة سيرة المنفى، وتناقش الدراسة مفهوم المنفى اليهودي الذي يختلف عن مفهوم المنفى المألوف.

وتطرح الدراسة تساؤلات حول المنفى اليهودي لا بوصفه حيزا مكانيا، لكن بوصفه عقدة نفسية تصاحب اليهودي أينما حلّ، وهي عقدة مترسبة بفعل الديانة والأيدولوجيا الكامنة في الوعي الجمعي اليهودي عن عقيدة (الشتات اليهودي).

وتأتي (النوستالجيا) أو الحنين للمكان بوصفها عاملا كاشفا لعقدة المنفى الدائم المصاحب لبطل العمل، فهو يحنّ ليوتوبيا(المدينة الأفلاطونية الفاضلة) لا يستطيع تحديد معالمها طوال الرواية، ويقدّمه الكاتب بوصفه شخصية تفتقر إلى الإيمان بأية عقيدة أو قيمة حقيقية، فهو لاديني، لكنه يؤمن بأفكار اليهودية عن خصوصية الشعب اليهودي، وهو يعلن عدم إيمانه بالصهيونية وبإله اليهود لكننه يؤمن بضرورة إيجاد وطن يجمع شتات اليهود.

ويكشف حنين البطل إلى الإسكندرية –بعد هجرته إلى إسرائيل– وقراره كتابة رواية عن العديد من التناقضات المجتمعة في شخصيته، تلك الرواية التي يموت قبل كتابتها، ويكتبها بدلا منه ابنه يتسحاق جورمزانو جورن راوي العمل.

وقد تخيرّت الباحثة تلك الرواية –على وجه التحديد– لأنها تبيّن مدى التقاطع بين الذاتي والروائي في حياة ذلك الأديب، وعلاقة تقاطعات السيرة الشخصية مع رؤيته لمفهوم الوطن والمنفى؛ فللأديب روايتان سابقتان دارت أحداثهما في الإسكندرية في الحقبة الزمنية نفسها التي دارت فيها رواية (شواطئ الإسكندرية) إلا أنهّ هنا يقرّر أن يمزج الذاتي بالروائي، لنتساءل هل مثّلت مصر للأديب وطنا حقيقيا أو منفى؟ وأيهما كان المنفى في نظره مصر أو إسرائيل؟

مدخل

يمثل البعد القسري عن الوطن منبعا خصبا لنوع أدبي يتقاطع مع مشاعر مختلطة وحالات نفسية ووجدانية يحفل بها هذا النوع. حيث يبدو أدب المنفى والمنفيين مساحة لاعتراف المنفيّ؛ اعترافات شخصية، وسياسية، واجتماعية، ويأتي هذا النوع الأدبي في كثير من الأحيان وكأنه شهادة المنفيّ على عصره؛ فاقتلاعه من جذوره بقدر ما يؤلمه يمنحه شيئا من الحرية في خلق ذات جديدة تولد من الألم، وهنا يولد أدب الاعتراف.

إذن، فالمنفيّ يعبّر عن المتخيّل لا الحقيقي، فهو يتحدّث عن الوطن كما يراه، أو كما تصوره له ذكرياته؛ حلوها ومرّها، تلك الذكريات المشوبة بحنين أو بهوس العودة إلى الماضي أو ما يطلق عليه مصطلح (النوستالجيا).

والمنفى لغة: لفظ مشتق من (نفى الشيء ينفي نفيّا) أي تنحى، ويقال نفيت الرجل أي؛ طردته.(1)

ويعني اصطلاحا: أنّ المنفيّ "هو الشخص الذي يفسّر حياته في الغربة على أنها تجربة اللا انتماء لوسطه، والتي يحبها لهذا السبب نفسه. والمنفيّ يهتم بحياته الخاصة، بل وشعبه الخاص، لكنه أدرك أنّ الإقامة في الخارج هناك حيث لا ينتمي أفضل تشجيع على هذا الاهتمام. إنّه غريب. ليس مؤقتا بل نهائيا. يدفع هذا الشعور نفسه، وإن كان على نحو أقل تطورا، بالبعض إلى الإقامة في المدن الكبيرة، حيث يحول الإغفال دون أي اندماج كامل في الجماعة". (2)

ويرى إدوارد سعيد أنّ " النفي لا يقتصر معناه على قضاء سنوات يضرب فيها المرء في الشعاب هائما على وجهه بعيدا عن أسرته وعن الديار التي ألفها، بل يعني إلى حد ما أن يصبح منبوذا إلى الأبد محروما على الدوام من الإحساس بأنه في وطنه، فهو يعيش في بيئة غريبة، لا يعزيه شيء عن فقدان الماضي، ولا يقل ما يشعر به من مرارة إزاء الحاضر والمستقبل." (3)

كما يتحدّث إدوارد سعيد عن كون المنفيّ يقع في منطقة وسطى بين الوطن والمنفى، فهو معزول عن وطنه، منفصل عنه، إلا أنّ الوطن يسكن بداخله، فلا هو قادر على نسيان وطنه القديم، ولا يستطيع التواؤم مع الواقع، " ثم يصبح واجبه الرئيسي إحكام مهارات البقاء والتعايش هنا مع

الحرص الدائم على تجنّب خطر الإحساس بأنّه حقّق درجة أكبر مما ينبغي من الراحة والأمان."[4]

وتمثّل (النوستالجيا) Nostalgia لبّ ما يعتري خيالات وأفكار المنفيّ حيال وطنه ، حيث يحيل المصطلح إلى حنين جارف للمكان الأول، وتوق إليه، وخوف من العودة إليه، مع عذاب متصل في الابتعاد عنه.

أمّا عن الجذور الأولى لكلمة (نوستالجيا) فهي لاتينية الأصل وهي مزيج من نحت الكلمتين: (Algos) and (Notos) أي الرجوع المقترن بالشقاء.

ويعود المصطلح في جذوره الأولى إلى ملحمة الأوديسا، وأسطورة (أوديسيوس) وزوجته المُحبة (بينولوبي)؛ حيث غاب عنها (أوديسيوس) قرابة عشر سنوات، وقع فيها في براثن إغواء إلهة البحر (كاليبسو) فصدّها (أوديسيوس) وكلّه شوق لزوجته (بينولوبي) التي مثّلت له صورة الوطن لا مجرد امرأة.[5]

أمّا صكّ المصطلح بصورة علمية؛ فيعود إلى الطبيب السويسري (جوهانز هوفر) (1888-1934)، الذي تتبّع سلوك التجار السويسريين، وقام بتوصيف سلوكياتهم بكونها مرض وصّف أعراضه بكونها تتلخص في: التفكير الدائم في الوطن، والنحيب، والتوجّس، وضربات القلب الزائدة، والأرق، بالإضافة إلى الحساسية المفرطة. [6]

وبحلول القرن العشرين، عُدّت (النوستالجيا) اضطرابا نفسيا، وبقرب نهايته اتّفق على فروق جوهرية بين (النوستالجيا) و(الحنين إلى الوطن)؛ حيث يقتصر الحنين إلى الوطن على الشوق إلى المكان فحسب، بينما تشمل النوستالجيا شوقا إلى الأماكن، والأشخاص، والأحداث،...إلخ.[7]

مثّلت ظاهرة (المنفى) المقترنة بشعور (النوستالجيا) عند اليهود جزءا أصيلا من وعيهم الجمعي؛ حيث حملت اسم (الدياسبورا) والتصق هذا المصطلح دوما باليهود وبرؤيتهم عن نفيهم في العهد القديم عن الأرض المقدسة، وحلمهم بالعودة إليها.

المنفى اليهودي:

ترتبط في الوعي الجمعي اليهودي عدد من المسميات يمتزج فيها العنصر الديني بالثقافي ليشكّل إرثا جمعيا مشتركا يتناقل من جيل إلى جيل بين جماعات اليهود.

حيث يرتبط اعتقاد اليهود الدفين بكونهم شعبا متصل النسل والعرق منذ آدم إلى يومنا هذا بكونهم شعبا مختارا העם הנבחר خصّصت له أرض مقدّسة موعودة. فقد جاء في العهد القديم:

"لأنّك شعب مقدّس للرب إلهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض." (تث: 2:14) كذلك: "أنا الرب إلهكم الذي ميّزكم بين الشعوب وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميّزتكم من الشعوب لتكونوا لي." (لاويين: 26: 20–24) وتبدأ مأساة هذا (الشعب المختار) –حسب الرؤية اليهودية– بعد خراب المملكة اليهودية وتدمير الهيكل مرة على يد نبوخذ نصر –فيما سُمّي بالسبي البابلي– سنة586 ق م ثم الخراب الثاني للهيكل بعد السبي الروماني على يد تيتوس سنة 70 م. (8)

هكذا يتبلور مصطلح (هاجالوت) הגלות * الذي يعني (المنفى الجبري) خارج أرض فلسطين والتي تترجم في العادة في العربية إلى (المنفى) أو الإجلاء عن أرض فلسطين، وفي الإنجليزية تترجم إلى The exile (9)

ويبدو مصطلح (الدياسبورا) اليهودية הדיאספורה היהודית أحد تلك المصطلحات التي ارتبطت بالنفي اليهودي خارج فلسطين ليصبح أوسع تلك المصطلحات انتشارا، حتى إنّه صار مرتبطا تماما بالجماعات اليهودية؛ فهي في أصلها كلمة يونانية الأصل تعني (الشتات) أو (الانتشار)، وقد كانت نمطا من الأنماط الاجتماعية السائدة إبان العصر الروماني، حيث كان كثير من التجار اليونان يؤسسون مجتمعات صغيرة وسط المجتمع الروماني؛ بمعنى أنها كانت في أصلها كلمة (محايدة). غير أنّ الكتابات اليهودية والصهيونية –فيما بعد– أضفت عليها طابعا يهوديا، حتى التصقت اللفظة باليهود وفقدت معناها المحايد. (10)

ويلاحظ دارسُ تاريخ الصهيونية أنها أخذت في ترسيخ مفهوم الخصوصية اليهودية، ذلك الفكر الذي استقته من الديانة ذاتها واستغلته بأسلوب براجماتي يتماشى ومصالحها الاستعمارية؛ الأمر الذي تجلى في عدم الفصل بين اليهودية بوصفها ديانة واليهود بوصفهم جنسا. (11)

وبالرغم من كون الصهيونية اتجاها علمانيا نفعيا – في الأساس– إلا أنها استغلت المفاهيم الدينية كما استغلت تلك المصطلحات التي تحدّثنا عنها بصورة تحقق مصالحها؛ فقد عدّت الصهيونية نفسها محل (المسيح المخلّص) والذي يكون (الخلاص) הגאולה على يديه في الديانة، " حيث تمّ التركيز على الأبعاد الاقتصادية للمشروع مع إنكار البعد الديني، الذي أوهمت الصهيونية بأنه بعد رئيس في برنامجها. ويتضح فيه أيضا أنّ الارتباط بالأرض ليس لأسباب دينية بقدر ما هو إقرار مكان جديد تطبّق فيه الأفكار الصهيونية بعيدا عن المجتمع الأوروبي المهيمن." (12)

المنفى وكتابة السيرة

يتميز إنتاج أدب المنفى بكونه يعكس شعور المنفيّ بتضارب هويتين؛ هويته الأصيلة في وطنه القديم، وتلك الهوية المستحدثة في وطنه المختلق.

" إنه أدب يستند في رؤيته الكلية، إلى فكرة تخريب الهوية الواحدة والمطلقة، وبصفته تلك فهو أدب عابر للحدود الثقافية والجغرافية والتاريخية، ويخفي في طياته إشكالية خلافية؛ لأنه يتشكل عبر رؤية نافذة ومنظور حاد يتعالى على التسطيح، ويتضمن قسوة عالية من التشريح المباشر لأوضاع المنفى." (13)

"ليصبح المنفيُّ –إذا– شخصا أُجبر على الرحيل، والبقاء خارج مسقط رأسه، بناء على إرادة بنيت على الخوف من الإعدام، أو لأسباب تتعلق بدينه أو عرقه، أو جنسيته، أو رأيه السياسي؛ وبالرغم من ذلك يظل الأمل يطارده في العودة إلى موطنه بعد تغيّر الظرف..." (14)

وهكذا فإنّ المنفيّ لا يستطيع أن ينخرط في المجتمع الجديد انخراطًا تامًا ناسيًا جذوره، فيتوهم صلة مضطربة متقطعة مع الماضي، ويظل طيف حياته القديمة يطارده لينحسر شيئا فشيئا

أسلوب حياته اليومية في موطنه ويحل محلها طيف من ذكريات تعينه على التأقلم مع واقعه الجديد.

ثمة ملمح فارق يميّز المهاجر عن المنفيّ، " ففي الوقت الذي يقوم فيه كل من المنفي والمهاجر بعبور الحدود بين مجموعة قومية أو اجتماعية وأخرى، فإنّ موقف المنفيّ من الثقافة المضيفة سلبي، فيما يتخذ المهاجر من تلك الثقافة موقفا إيجابيا... إنّ النوستالجيا الخاصة بالمنفي تدفع الفرد في العادة لكي يكون غير مبالٍ بالقيم والخصائص المتعلقة بالثقافة المضيفة، إنّ المنفيّ يختار –إذا كان بمقدوره– أن يختار أن يعيش في سياق غير مرحب، سياق يشبه الوطن." (15)

ويتميز أدب المنفى بكونه أدبًا يطرح مفاهيم تتجاوز مفهوم الغربة والحنين إلى الوطن ،إنّه أدب يعكس التفاعل والانفتاح على ثقافة جديدة برؤية غير متحيّزة، ويطرح فكرة الأصل والثقافة والعرق ليضعها تحت مجهر التجربة الإنسانية.

وقد وضع كثير من منظري الأدب هذا الصنف من الأدب تحت مظلة الآداب المنبثقة عن (أدب ما بعد الاستعمار)؛ ذلك أنّ تجربة المنفى كانت من التجارب الكثيرة التي أظهرتها فترة ما بعد المرحلة الاستعمارية في العالم؛ وذلك لكلٍّ من المستعمر والمُستعمَر على حد سواء، وهو ما يعني أنّ أدب المنفى يمثل ظاهرة ثقافية، تتجلى في بعض التجارب الأدبية للأمم التي خضعت للاستعمار وعانت ويلاته. (16)

كما يتميّز أدب المنفى بكونه يعكس حالة من التشظي بين هويتين أو أكثر، ليبدو المنفيّ وكأنه بلا هوية حقيقية، ليكتب أدبا عابرا للحدود الثقافية والجغرافية والتاريخية، يقول إدوارد سعيد:

"يعلم المنفيّ أنّ الأوطان في العالم الدنيوي عارضة مؤقتة، بل إنّ الحدود والحواجز يمكن أن تصير سجونًا ومعازل، وغالبًا ما يُدافَع عنها، وتُحمى بلا مبرر أو ضرورة. أمّا المنفيون فيعبرون الحدود، ويحطمون حواجز الفكر والتجربة." (17)

وفي ضوء تجربة المنفى يقع أدب السيرة الذاتية موقعًا وطيد الصلة بهذه التجربة، حيث يبلور الأديب تجربة انتمائه الجديد وترسيخ حاضره عن طريق استحضار الماضي الذي لم ينقطع عنه يومًا، يقول (جورج ماي):

"إنّ أقوى البواعث على كتابة السيرة الذاتية، حاجة المرء إلى العثور على معنى لحياته المنقضية أو على إعطائها شكلًا مخصوصا." (18)

مصطلح السيرة :

السيرة في اللغة هي: الطريقة أو السنّة، كذلك يقال إنّ السيرة هي الحال التي يكون عليها الإنسان، كقولك: قرأت سيرة فلان؛ أي حياته. (19)

وفي الاصطلاح السيرة هي :" بحث يقدّم فيه الكاتب أو حياة أحد المشهورين الأعلام، أو حياة المتحدث عنه." (20)

ويعرّف في المصطلح الأدبي بأنه: "نوع من الأدب يجمع بين التاريخي، ويراد به مسيرة حياة إنسان ورسم صورة دقيقة لشخصيته." (21)

أمّا السيرة الذاتية فهي: أن يقص السارد حياته وأفكاره، وهو الشرط الذي وضعه (فيليب ليجون) فيما أسماه (ميثاق السيرة الذاتية) أو (الميثاق الأوتوبيوجرافي) وهو تطابق وجود تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية. (22)

وهنا تتجلى العلاقة بين السرد والاعتراف والهوية، وكأنّ الكاتب يتعامل مع ذاته بوصفها هوية متحولة تظهر على الورق عبر فصول حياته، فيها جزء من الاعتراف الشخصي، وذاكرة جمعية في كثير من الأحيان لظروف عصره وهو الأمر الذي يتحقق دوما في كثير من الأدب الذي يكتبه المنفيون.

يقول جورج ماي: "إنّ أقوى البواعث الباطنية على كتابة السيرة الذاتية، حاجة المرء إلى العثور على معنى لحياته المنقضية أو على إعطائها شكلا مخصوصا." (23)

تعد كتابة السيرة الفكرة المستحوذة على المنفيين؛ لأنّ تجربة المنفى تفرض نوعا خاصا من أنواع الوعي الذاتي على المنفيّ، حيث تعيد صياغة الشخصية، تاركة بصمة لا يستطيع الزمن محوها.

هكذا برز هذا النوع من الأدب بين جموع اليهود الذين تعرضوا لتجربة المنفى حتى أصبحت ظاهرة كتابة السيرة الذاتية لأدباء اليهود، أو احتواء إنتاجهم الأدبي على شذرات من سيرتهم الذاتية ظاهرة بارزة في الأدب العبري الحديث.

غير أنّ كتابة هذا النوع من السيرة الذاتية في الأدب العبري الحديث، يحتوي دومًا على خصوصية تنبع من فرادة التجربة الذاتية التي مرّ بها اليهود؛ حتى يمكن أن نطلق على هذا النوع اسم (المنفى في الوطن والوطن في المنفى). [24]

نماذج من سيرة المنفى في الأدب العبري الحديث:

يتميز هذا النوع من السرد في الأدب العبري بأنه يحتوي دوما على رؤية الأديب الذاتية لمفهوم الوطن، وهي رؤية شديدة الخصوصية كونها تعكس مأساة اليهودي في البحث عن وطن حقيقي، غير أنّ السمة التي تميز هذا الأدب أنّ المنفى أصبح مفهوما فلسفيا كامنا داخل اليهودي أينما حلّ. وإذا كنا بصدد سرد نماذج من سيرة المنفى عند أدباء اليهود، فلابد أن نطرح في البداية سؤالًا جوهريًا؛ ألا وهو: هل اليهودية قومية أو ديانة؟ هل مسألة المنفى اليهودي مسألة عقدية أو سياسية؟

فإذا كانت اليهودية ديانة؛ فالدين لا يورث أرضا، ويصبح الخلاص، والعودة إلى فلسطين محض مجاز ديني، وإذا كان اليهود جنسا فلابد من البحث وراء أصل هذا العرق أنثربولوجيا وعلاقة هذا العرق بفلسطين، وهو ما لم تثبته أيّة دراسات في علم دراسة الإنسان.

ويطرح الأستاذ الدكتور أحمد حماد في كتابه: (الصهيونية وما بعدها، قراءة في الأنساق المضمرة) سؤالا في الصدد نفسه فيقول:

"هل نشأت اليهودية بوصفها رد فعل لمشكلة اليهود أم اليهودية؟ معروف أنّ مشكلة اليهود تختلف جذريا عن مشكلة اليهودية. مشكلة اليهود تعني مشكلة يعيشها جنس، وليس بالضرورة

أن يكون البعد الديني أحد مكوناتها. أما مشكلة اليهودية فهي تتعلق بالديانة اليهودية وما تتسبب فيه لمن يدينون بها، ومن خلال دراسة الأنساق المضمرة في الفكر الصهيوني يظهر أنّ المشكلة في أوروبا كانت في الأساس مشكلة ديانة أكثر منها مشكلة أفراد، ودليلنا في ذلك الطبقات اليهودية الثرية في أوروبا التي تصرفت وعاشت بوصفها طبقات أوروبية في كل شيء لأنها بالفعل كذلك، ولم تتعرض لأي اضطهاد؛ لأنها استطاعت أن تحدث توافقا بين انتمائها الديني وهويتها العرقية." [25]

قامت الصهيونية باستغلال ما تحدثه الديانة اليهودية من خلط بين الديني والعرقي لخدمة مصالحها السياسية والاستعمارية؛ لتبث خطابا مفاده أنها جاءت بوصفها حلًا لمعاناة اليهود؛ لتحوّل الانتماء الديني إلى انتماء قومي، وتخلق من الديانة أيديولوجية استعمارية، كما تخلق جيلا جديدا من اليهود يعيشون في منفى جديد يسمى (الوطن القومي لليهود).

طرح الأدب العبري مشكلة المنفى داخل الوطن بأكثر من صورة؛ فقدّم الأدباء العديد من الأعمال التي تناولت اليهودي المغترب قبل وبعد الهجرة إلى فلسطين؛ وكان ما يثير السخرية أنّ "نجاح الصهيونية في تأسيس دولة أدى إلى انكسار في تجربة اليهود مشابهة لما قام به المنفى؛ فالحلم الصهيوني بجمع أشتات المنفيين خلق تجمعا أكبر للمنفيين. ذلك أنّ ترك موطن الشخص وأرضه التي ألفها قد يخلق صدمة أكثر من خلقه علاج." [26]

وقد عبّر يوسف حاييم برنر عن ذلك بقوله:

" وهنا في فلسطين، يظهر أنّه لا فرق ... المنفى في كل مكان... نفسي خاوية من الحلم؛ حلم الدياسبورا. أنا شخصيا لست أفضل من كل اليهود، لكن إذا كان هناك يهودا في العالم وإذا كان لابد من التحدّث إليهم ويصلهم صوتي لصرخت قائلا: لا تعلقوا آمالكم على هذا الحلم، إنّه حلم أجوف." [27] لنجد على سبيل المثال (يعقوب رابينوفيتش) يؤرّخ في سيرته الذاتية لتاريخ المنفى الجديد في فلسطين بعد الهجرة، واصفا الإحباط والاغتراب، والصدمة التي عانى منها أدباء الهجرة الثانية في منفى جديد مليء بالموت، والخذلان.

"منذ اليوم الذي تركنا فيه وارسو كثرت جدا المصائب التي وقعت على رأسي. لقد اقمت مع البلاشفة، وأساء إليّ الأكرانيون، ولم أر شيئا جميلا. وأخيرا هربت بجلدي مع زوجتي وطفلتي على ذراعي وجئت إلى يافا، فكرت في الراحة لأستعيد قواي من أجل العمل. لكن من المؤكد أنك تعرف ما حدث في يافا: اضطهادات، أحداث، شهداء، جرحى، فقر، جوع، نهب. في يوم الثالث من مايو سرت في الجنازة، وعلى كتفي يوسف حاييم برنر. لا مفر. لا مفر." (28)

كذلك نجد سيطرة الأنا الاعترافية على أعمال يوسف حاييم برنر؛ حيث يحمّل أبطاله أناته وأفكاره؛ ففي قصصه: (في الشتاء)، و(من أ إلى م)، و(عام واحد) يظهر المؤلف بطلا للقصة، كذلك الحال في قصصه القصيرة. (29)

يقول في قصته (في الشتاء):

" كلمة عبري لا تعني أن لدي ماض من البطولات، لأنني ببساطة لست بطلا. إلا أنني أريد أن أسجل هذا الماضي، ماض بلا بطولة." (30)

كذلك نجد (أهارون أبلفلد) يجعل إنتاجه القصصي والروائي كله وقفا على أحداث النازي، ليجعل تجربته الشخصية معينا لأعماله جميعا، لكنه لا يكتبها بوصفها سيرة ذاتية صريحة، بل يترك للقارئ مهمة هذا التأويل وعقد المقارنة بين سيرته الذاتية وأبطال أعماله التائهين جميعا بين وطنين كلاهما منفى. (31)

وتقع روايات السيرة الذاتية التي تؤرّخ لماضي اليهود الشرقيين قبل هجرتهم إلى فلسطين في موقع شديد الأهمية من روايات كتابة سيرة المنفى، ذلك أنّ كتابات اليهود الشرقيين لا تؤرخ فحسب لتجربتهم الشخصية قبل الهجرة إلى فلسطين، بل تدحض كون (إسرائيل) تمثل وطنا حقيقيا لليهود الشرقيين تحديدا. فهؤلاء اليهود الشرقيون تم إجبارهم على الهجرة، وكان وضعهم الاجتماعي والاقتصادي أفضل كثيرا من أقرانهم من يهود أوروبا، وهو ما تصوره كتاباتهم عن أوطانهم الأولى نفسها وعقدهم المقارنة دائما بين أوطانهم الأولى وحالهم بعد الهجرة إلى فلسطين.

فنجد –على سبيل المثال– سيرة الأديبة مصرية الأصل (راحيل مكابي) (مصر بلدي) מצרים שלי، وفيه نلمح النوستالجيا التي تكتنف الكاتبة في تصوير حبها لمصر، كذلك نجد أعمال (عادا أهاروني) التي سردت تجربتها الذاتية بوصفها يهودية ولدت بمصر في عدد من أعمالها.[32]

أمّا (ديبورا بارون) فنجد أنها في روايتها (المنفيون) הגולים تسرد تجربتها الذاتية حين قامت السلطات التركية بطرد مجموعة من اليهود إلى مصر، لقيامهم بأعمال صهيونية مناوئة للأتراك، وكانت الكاتبة واحدة من هؤلاء اليهود.

تصف الرواية وضع الجماعات اليهودية في تلك الفترة؛ وهي الجماعات التي تتراوح بين مهاجرين من خارج مصر، ومصريين يدينون باليهودية. [33]

ترى الباحثة أنّ أعمال هؤلاء الأدباء –لاسيما شرقيي الأصول منهم– كانت تهدف إلى التأريخ لأوضاع البلاد التي عاشوا فيها، وتقدم للقارئ الإسرائيلي نبذة عن هجرة يهود الشرق إلى فلسطين، والملامح الفارقة بين الماضي في بلادهم الأولى والحاضر في فلسطين. وهي أعمال لم تخلُ بطبيعة الحال – من النوستالجيا لذلك الماضي والمقارنة بين الحالين.

وتعدّ روايات الأديب الإسرائيلي مصري الأصل (يتسحاق جورمزانو جورن) والتي أرّخ فيها لمدينة الإسكندرية، من أبرز كتابات سيرة المنفى اليهودي، إنّه المنفى المحبّب الذي لم يستطع جورمزانو الفكاك منه وهو في منفاه الجديد، أو في وطنه المصطنع/ إسرائيل.

<u>–يتسحاق جورمزانو جورن والإسكندرية:</u>

هو أديب إسرائيلي مصري المولد. وُلد في مدينة الإسكندرية في السابع والعشرين من ديسمبر عام 1941.

عاش طفولته في هذه المدينة حتى سن العاشرة، ثم هاجر مع أسرته إلى إسرائيل سنة 1951.

تحتل مدينة الإسكندرية نصيبا كبيرا من أعمال جورن؛ فرغم أنّه هاجر إلى إسرائيل في سن العاشرة، إلا أنّ المدينة تبدو حاضرة في مخيلته السردية بكل تفاصيلها؛ حتى إنّه يحب أن يقدّم نفسه دوما بقوله:

"وُلدتُ في الإسكندرية، في مصر. ومن هناك هاجرت إلى إسرائيل." (34)

يصف جورمزانو الإسكندرية دوما بأنها كانت مدينة (كوزموبوليتانية)؛ متعددة الثقافات، وأنّ اللغة الفرنسية كانت اللغة التي يجيدها اليهود بها، بل إنّه يقول إنه حين هاجر إلى إسرائيل كان غربي الثقافة، رغم كونه يهوديا شرقيا. (35)

يتحدّث جورن في أكثر من لقاء، عن هجرة عائلته من تركيا إلى الإسكندرية سنة 1900 قبل اندلاع (حرب البلقان)*خوفا من اضطهاد اليونان واصفا تلك الأحداث بقوله "إنّ اليهودي يقع دوما في منتصف كل صراع." (36)

درس جورن الأدب الإنجليزي والفرنسي بالجامعة العبرية بالقدس، وفي جامعة تل أبيب، كان مديرا فنيا لأحد المسارح في حيفا، ثم قام بتدريس المسرح في جامعة تل أبيب. كتب جورن عددًا من الأعمال التليفزيونية والإذاعية.

حاز جائزة (رمات جان) عام 1979 عن روايته (صيف سكندري)، كما حاز جائزة الجمعية الإسرائيلية للثقافة والفن عن مسرحيته (نبوءة ميدوروس).

له كثير من الأعمال الروائية والمسرحية كرواياته الثلاثة: (صيف سكندري)(1979)، (بلانش) (1986)، (شواطئ الإسكندرية) (2018)، وروايات أخرى مثل: (قلبي في الشرق) (1985)، (شمس من الغرب) (1985) (في الطريق للاستوديو) (2003).

وكمسرحياته: (بشارة ميدوروس) (1966)، (الماء والسماء والمكعب) (1987)، (حبيبتي السنيورة) (2007)، وغيرها من الأعمال. (37)

رغم احتلال مدينة الإسكندرية مسرح الأحداث في روايتي جورن (صيف سكندري)، و(بلانش)، إلا أنّ روايته (شواطئ الإسكندرية) تحمل طابع الذاتية أكثر من الطابع الروائي؛ حيث يسرد فيها

جورن سيرة أبيه الشخصية، وسيرة عائلته التي هاجرت من تركيا مع مطلع القرن العشرين، وتتراوح فيها الأحداث بين الإسكندرية وإسرائيل بعد هجرته إليها، وقرار الكاتب بأن يكتب رواية. وتمثل الإسكندرية في رواية (شواطئ الإسكندرية) مسرحا للأحداث فحسب، وانعكاسا لآراء جورن ذاته عن مصر، والإسكندرية، والديانة اليهودية، والإله، فهو لا يتوارى خلف شخصيات متخيلة، بل يجعل من شخصية أبيه (ابراهام جورن) الراوي والبطل.

احتلّ جورن دوما في عمليه السابقين عن الإسكندرية موقع الراوي المتواري خلف شخصياته، يقول عن الإسكندرية في روايته (صيف سكندري) مضمنا الرواية قبسا من سيرته الشخصية:

"تلك الإسكندرية التي عرفت في طفولتي، الإسكندرية التي ألهمت خيالي ما يربو عن عشرين عاما. منذ أن خرجت منها في الحادي والعشرين من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين. حين كنت في العاشرة من عمري." (38)

يكتب جورن في (شواطئ الإسكندرية) عن مدينته الحميمة ، كتابة تطرح عددا من التساؤلات وتفوح برائحة الذكرى، ويتجلى من خلالها رؤيته لمفهوم الوطن والمنفى.

المبحث الأول

البطل /الراوي وكتابة سيرة المنفى

تأخذ رواية (شواطئ الإسكندرية) شكل كتابة السيرة، بيد أنّ الكاتب هنا لا يقص سيرته الشخصية بل يقص سيرة الإسكندرية من خلال شخصية أبيه (ابراهام جورن) الذي عاش ردحا طويلا من عمره في هذه المدينة، وفيها أنجب ابنه (يتسحاق جورن).

فأبراهام جورن هنا الشخصية الرئيسية، وهو الراوي الذي يروي لنا القصة مستخدما ضمير المتكلّم، مستحوذا على معظم صفحات العمل السردي، يقدّم لنا نفسه بأسلوب اعترافي، وهو ما يحدث بالتراوح مع الراوي العليم الذي يروي ما لا يرويه البطل.

הרמתי את מבטי מהספר, ושם היא עמדה, מבעד לוויטרינה, בחוץ בגשם. פנים עגולות בגון הברונזה וזוג עיני שקד כיהלומים, שחורים [39]

"رفعتُ ناظريّ عن الكتاب، وكانت تقف هناك خلف الفترينة. في الخارج في المطر. وجه برونزي مستدير، وعينان سوداوان كالألماس."

وهو لا يبدأ الرواية بتقديم نفسه بطريقة نمطية، لكنه يبدأها بحكي قصته مع الفتاة التي أحبها، ومن خلال قصة حبه معها ورفض أبيها عالم الآثار تلك القصة نعرف كثيرا عنه وعن طريقة تفكيره؛ فهو يهودي سكندري يمتلك متجرا لبيع الأحذية، يحب القراءة، وكان يحب أن ينادى في هذا الجزء من الرواية باسم (ألبير)، لأنه لا يحب الأسماء ذات الطابع الديني، فهو يعترف لتلك الفتاة التي تدعى (ليبيا) بأنه لاديني.

– אתה יהודי? הפתיעה.

–נולדתי יהודי.

היא קלטה את הניאנס וקראה בצהלה, גם אתה אתיאיסט? ממש כמוני! אני חושבת שאנו נשמות תאומות, הוסיפה ברצינות, ולא במקרה נתקלתי בך. יד אלוהים בדבר!

–איך אלוהים?

–מה שמך? שאלה.

אלבר, כאתיאיסט אדוק..... (40)

فاجأته بسؤالها: " هل أنت يهودي؟"

–وُلدتُ يهوديا.

استوعبت ما بين السطور وقالت بابتهاج، أنت أيضا لاديني؟ تماما مثلي! أعتقد أن روحينا توأمان، أضافت بلهجة جادة، وليس بمصادفة أنني التقيتك. لابد أن يد الله تدخلت."

يهيمن الراوي العليم على الفصول الثلاثة الأولى التي تنتهي بسفره إلى فلسطين وتغيّر اسمه إلى (أبراهام)؛ وكأنّ الراوي العليم/ الكاتب يقص علينا في عجالة في الفصول الأولى قصة أبيه منذ وجوده في الإسكندرية حتى سفره إلى إسرائيل وقراره أن يكتب قصة حياته بنفسه، ليبدأ البطل نفسه/ الراوي المشارك في الأحداث في حكي قصته بنفسه منذ الفصل الرابع.

בחדר אחד, באותו שעה, שכב אברהם גורן, לשעבר אלבר גורמזאנו, במיטתו בפיג'מה, וספר בידו. (41)

"في غرفة واحدة، في الساعة ذاتها، تمدّد أبراهام جورن، ألبير جورمزانو سابقا، في سريره بالبيجامة كتاب في يده."

כמו טיאטאה טלטלת השבץ את קורי העכביש, והזיכרונות צפים ועולים, צלולים ועזים בצבעוניותם, כמו בסרט או ב.....

פתאום הבין!

ספר!

הספר שהוא יכתוב.

.....

אמנם כשחלם על רומן, לא לסיפור חייו התכוון. הסופרים האהובים עליו כתבו על העולם שמחוצה להם, לא דווקא על עצמם. (42)

تهزه الجلطة وكأنها اجتياح خيوط العنكبوت، لتطفو الذكريات وتعلو، واضحة كثيفة الألوان؛ كفيلم أو..."

وفجأة خطر له!

كتاب!

.....

الكتاب الذي سيكتبه.

حقا كان يحلم بكتابة رواية، لم يكن ينوي أن يروي حياته. فكتّابه المفضلون كتبوا عن العالم حولهم، وليس عنهم هم."

غير أنّ الفصل الثالث ينتهي بموت (أبراهام جورن) في اليوم نفسه الذي قُتل فيه الرئيس الأمريكي جون كنيدي، ليدخل ابنه (روبي) –وهو اسم تدليل الكاتب قديما– على أبيه غرفته ليجده ميتا.

המראה הזה ילווה את רובי כל חייו. ועמו האמירה: "על שום היותו נשיא." זה עתידה לקנות בזיכרונו מעמד מיתי– לא על שום עומקה או ייחודה. היה זה המשפט האחרון שרובי שמע מפי אביו עד עולם.(43)

"رافق هذا المشهد روبي طوال حياته. ومعه ذلك القول:" لكونه رئيسا." إنه أمر سيجعل له مكانة أسطورية في الأذهان. دون أي عمق أو تفرّد. كانت هذه الجملة الأخيرة التي سمعها روبي من فم أبيه للأبد."

غير أنّ القصة لا تنتهي بموت البطل (ألبير) أو (أبراهام جورن)، لكنها تبدأ في الفصل الرابع؛ حيث يحكي (روبي) أو (يتسحاق جورن)/ المؤلف؛ القصة على لسان الأب، تلك القصة التي مات الأب دون أن يحكيها.

يستخدم المؤلف هنا تقنية (الميتا رواية)* السردية أي؛ الرواية داخل الرواية حيث " يوظّف المؤلّف ضمير المتكلّم في سرده، فيجعل الرواية قريبة من السيرة الذاتية (الأوتوبيوجرافيا). كما

قد يبدو هذا اللون من السرد الروائي بالنسبة لبعضهم وكأنه ارتداء ودعوة إلى ضروب الراوي العليم، لأنّ المؤلف غالبا ما يتدخل بصورة مباشرة في سير الاحداث، ويعلّق على ما يجري أو يقتحم صفاء شخصياته الروائية بتطفله الدائم ... وهناك من نظر إليه بوصفه (رواية مضادة)* Anti– Novel أو وراية مقالة اجتماعية وأدبية، بل إنّ البعض راح يتحدّث عن موت الرواية."[44] "حيث يزعم النقاد أنّ الفارق الحاسم الذي يكمن بين روايات السيرة الذاتية – وخلافا لروايات السيرة الغيرية– هو دور الراوي الذي يعبّر عن أفكار الكاتب، و يربط الكاتب أو البطل بالجمهور الهدف."* والسؤال الذي يطرحه هذا العمل؛ هل شخصية البطل/ الراوي (ألبير) أو (أبراهام جورمزانو) شخصية منفية؟ [45]

يقول جورج ماي: "إنّ أقوى البواعث الباطنية على كتابة السيرة الذاتية، حاجة المرء إلى العثور على معنى لحياته المنقضية أو على إعطائها شكلا مخصوصا." [46] فحاجة البطل لكتابة سيرة حياته، أو انتوائه كتابة تلك السيرة؛ نابعا من فكرة البحث عن معنى محدد لحياته، وهو الأمر النابع من تجربة التمزق بين الأوطان والمنافي، "فتأثير المنفى وإعادة صوغه للشخصية، يترك بصمة لا تمحى في تحديد معالم تلك التجربة، وفي طريقة النظر إليها، وفي استخلاص التجربة الكبرى منها، وفي كيفية كتابتها." [47]

فأدب المنفى يمثّل ظاهرة ثقافية تظهر في الأمم التي خضعت للتجربة الاستعمارية، والكتابة السردية تصبح هنا كتابة مليئة بالحنين والقلق والنوستالجيا، وتتبلور فيها إعادة كشف موقع الفرد في وطنه ومنفاه على حد سواء. وهو الأمر الذي يكرّس لفكرة المنفى ويعضدها وفيها نجد أن الشخصية المنفية لا تستطيع الانتماء بشكل حقيقي لأي من العالمين. [48]

وترى الباحثة أنّ هذه السمات تتبلور في تجربة البطل (ألبير) أو (أبراهام جورن)؛ فحتى تغيير اسمه قبل الهجرة إلى إسرائيل، وبعدها تعكس هذا التذبذب بين عالمين، وروحين؛ تلك الروح العلمانية التي كان يعتنقها حين كان في الإسكندرية، والروح الجديدة التي تلبسته في إسرائيل.

فقد كان اسمه في الإسكندرية اسما علمانيا لا يحمل أية دلالة دينية، لكننا نجد قراره بتغيير اسمه إلى اسم ذي دلالة دينية بعد الهجرة.

فقد أبرز قراره بأن يهاجر طوعا إلى إسرائيل سنة 1951- أي قبل قيام ثورة يوليو وهجرة معظم اليهود من مصر- لبّ هذه الشخصية الحقيقي، والتمزّق بين أفكارها حول الإله، ويهوديته المتجذرة في أعماقه.(49)

ويتناقض موقف البطل من فلسطين وحماسته لتجمّع اليهود فيها مع موقفه الديني، حيث يذكر أكثر من مرة أنّه لا دينيّ، ولا يعترف بوجود الإله، غير أننا نكتشف أنّ موقفه ليس دينيا بحتا، وإنما هو احتجاج على إله اليهود الذي تركهم نهبا للشعوب الأخرى؛ أي أنّ موقفه ليس موقفا فلسفيا بقدر ما هو موقف باطنه الإيمان بضرورة خلق واقع أفضل لليهود.

-כלומר, את מאלו הטוענים שעצם הכפירה בקיומו של אלוהים היא ההוכחה לקיומו?

-מחשבה מאד מעמיקה ! הגיבה.

-כמו ניטשה שטען שאלוהים מת. אבל איך משהו שאינו קיים יכול למות? זה אבסורד!(50)

"- هذا يعني أنّكِ ممن يزعمون أنّ الكفر بوجود الإله إثبات لوجوده؟

-أجابت: تفكير في غاية العمق!

- تماما كزعم نيتشه أنّ الإله قد مات. لكنّ هل يمكن لشيء غير موجود أن يموت؟ هذا عبث."

يؤرّخ الراوي العليم/ الكاتب يتسحاق جورن لسيرة أبيه بوصفه نموذجا لاغتراب اليهودي عن مجتمعه أينما حلّ، بل إنّ إصراره على ذكر تفاصيل سيرة الأسرة بكل تفاصيلها، وبأصولها في تركيا قبل المجيء إلى الإسكندرية والحديث عن علاقة اليهود بغيرهم دليل آخر على ذلك النموذج الاغترابي.

يذكر يتسحاق جورن في أحد اللقاءات التليفزيونية؛ تلك التفاصيل التي ذكرها في روايته عن عائلته ورحلتها من تركيا إلى الإسكندرية، قبل حرب البلقان، وذكرياته عن أبيه المثقف اللاديني،

وواقعة تغيير اسمه بعد هجرته إلى إسرائيل، وحتى اسمه هو الذي أطلقه عليه أبواه في الإسكندرية (روبرت) تيمنا بالممثل الأمريكي روبرت تايلور، وهو الاسم الذي يذكره المؤلف أكثر من مرة في الرواية (روبي) اسم التدليل لروبرت. (51)

يثبت حديث الكاتب في هذا اللقاء التليفزيوني الجانب الواقعي لتلك السيرة في حالة من النوستالجيا والحنين لما أطلق عليه (الإسكندرية الكوزموبوليتانية)؛ تلك المدينة ذات الثقافة الغربية التي شهد فيها أسعد أيام حياته، والتي كانت ملائمة تماما لشخصية أبيه العلمانية، حيث سمح له التعدّد الثقافي آنذاك بأن يتكيّف بشكل كبير، غير أنّ شخصيته المتشبعة بروح الاغتراب والمنفى كانت أقوى من تكيفه.

فهو شخصية جبلت على روح اللا انتماء التي بثتها فيه الديانة اليهودية، ولم تفلح ثقافته وقراءاته الفلسفية في إنقاذه من اغترابه، بل على العكس، فقد أصبح أكثر اغترابا يبحث عن انتماء حقيقي، وكأنه يعيش في غربة دائمة؛ وهي عينها تلك السمات التي تميّز شخصية المنفي؛ فهو " شخص يفسر حياته في الغربة على أنها تجربة لاانتماء لوسطه، والتي يحبها لهذا السبب نفسه. فالمنفي يهتم بحياته الخاصة، بل وبشعبه الخاص، لكنه أدرك أنّ الإقامة في الخارج هناك حيث (لاينتمي) أفضل تشجيع لهذا الاهتمام. إنّه غريب ليس مؤقتا بل نهائيا. يدفع هذا الشعور نفسه، وإن يكن على نحو أقل تطورا بالبعض إلى الإقامة في المدن الكبيرة، حيث يحول الإغفال دون أي اندماج كامل في الجماعة." (52)

هكذا كانت الإسكندرية ذات متعددة الثقافات في بداية القرن العشرين المكان الأمثل للبطل المنفي، ليختار حانوته الصغير المكتظ بالكتب منفى صغيرا داخل منفاه الكبير/ المدينة. فهو مطارد من قوة تفوقه، فالمنفى هنا ليس منفى عن الوطن بقدر ما هو شعور بالاغتراب عن المحيط العام، ورغبة في الإيمان بقضية تنقذه من هذا الضياع؛ وهو ما وجده في الإيمان بخلق وطن لليهود، رغم عدم إيمانه بالصهيونية.

المبحث الثاني

نوستالجيا الزمكان وهيمنة المنفى

الزمكان أو (الكرونوتوب) أحد أهم مصطلحات ميخائيل باختين المعقدة. [53] ويعني حرفيا: (الزمان المكان)؛ ذلك أنها لفظة مركّبة على التوالي من المفردتين معا. حيث يعمل هذا المصطلح على تحليل علاقة الزمان بالمكان، باعتبار أنّ الزمان هو البعد الرابع للمكان. حيث أفاد باختين من النظرية النسبية التي تقول إنّ الفصل بين الزمان والمكان أمر محال. [54]

ويعرّف باختين الزمكان في الأدب بأنه: "الترابط الداخلي الفني لعلاقات الزمان والمكان المعبّر عنها في الأدب." [55] ليؤكد أنّ الوحدات الزمانية والمكانية تتشابك دونما انفصام دائما، فيستجيب كلٌّ منهما لحركة الآخر، ويؤثران في بعضهما البعض، وهو ما يؤثر بطبيعة الحال على الإنسان الذي يعيش في حيزهما.

تخيّر الكاتب/ الراوي العليم الفوقيّ أن يحدّثنا عن الإسكندرية في أوائل القرن العشرين تحديدا منذ عام 1910 عام هجرة أبيه إليها/ البطل/ الراوي المشارك في الأحداث؛ فالمدينة في هذه الفترة تحديدا في نظر الكاتب كانت في أوج مجدها الحضاري والثقافي، أو كما يقول عنها دوما (مدينة كوزموبوليتانية حقيقية). [56]

רובי בדק ומצא, שבניגוד לאלכסנדריה שבמצרים, דווקא אלקסנדרפולי שביוון לא נקראה על שם אלכסנדר הגדול, אלא על שם אלכסנדר הראשון מלך יוון שבקר בה ב1920, עשר שנים לאחר שאני, אלבר גורמזאנו, הגרתי משם לאלכסנדריה ואני אז בן עשר.[57]

"بحث روبي ووجد أنّه خلافا للإسكندرية في مصر، فهناك تحديدا في اليونان (الكسندروبولي)، والتي لم تسم على اسم الإسكندر الأكبر، بل على اسم ألكسندر الأول الذي زارها سنة 1920، بعد عشر سنوات من هجرتي أنا –ألبير جورمزانو– من هناك إلى الإسكندرية وأنا في العاشرة من عمري."

يمتزج المكاني بالزماني في وصف الكاتب للمدينة، حيث يصفها في تلك الفترة التي شهدت فيها المدينة انفتاحا على الثقافة الغربية، الأمر الذي جعلها قبلة للمهاجرين من أوروبا والشام وغيرها من البقاع؛ إما بسبب الظروف السياسية – وهو ما حدث لعائلة جورمزانو – وإما لضيق الرزق في بلادهم.

קשה לשער שני אתרים שונים זה מזה. דדיאגשט, עיירת דייגים קטנה ורדומה, ולעומתה– אלכסנדריה, עיר נמל גדולה וסואנת. קו הדמיון היחיד ביניהם– אפק הים.[58]

" تتعذر المقارنة بين مكانين مختلفين عن بعضهما البعض. فدذياجشط بلدة صيادين صغيرة خاملة، تقابلها الإسكندرية، مدينة كبيرة، مكتظة ذات ميناء. أمّا خيط التشابه الوحيد بينهما فهو أفق البحر."

يلمح المتلقي دوما روح النوستالجيا التي تكتنف الكاتب في حديثه عن الإسكندرية في هذه الفترة تحديدا، وهي الإسكندرية منذ بدايات القرن العشرين حتى 1951، أي قبل رحيله عنها، وهي الفترة ذاتها التي دارت فيها أحداث روايتيه السابقتين؛ صيف سكندري، وفي اللانش. وهي تلك الروح التي نلمحها في حديثه عن ذكرياته بها، وحرصه في أحاديثه في وسائل الإعلام على أن يقول إنّ أصوله سكندرية، وأنّه لم يجد مشكلة في التأقلم في المجتمع الإسرائيلي غربي النزعة كسائر اليهود الشرقيين؛ لأنه آت من الإسكندرية؛ تلك المدينة ذات الروح الغربية الكائنة في الشرق. [59]

يستشعر المتلقي تلك الأجواء في حديث الكاتب عن المدينة وأثرها على قاطنيها من اليهود وغيرهم؛ الأمر الذي يظهر من حواره مع صديقته الإيطالية:

–אה, אלכסנדריה שלך נותנת לבנאדם הרגשה של בית. אני מודה לך על שסיפקת לי תירוץ לעזוב הכול ולבוא הנה.....

–אלכס היא עיר זיקית המתאימה את עצמה לכל אחד ואחד, בייחוד למי שמתגעגע אל מולדתו הרחוקה..... [60]

" آآآه، إسكندريتك تمنح الإنسان شعور البيت. أنا مدينة لك بمنحك إياي حجة لأترك كل شيء وآتي إلى هنا...

– الإسكندرية مدينة متلونة تتأقلم مع الجميع، وبخاصة لمن يتوق لميلاده البعيد..."

تفوح النوستالجيا من وصف الكاتب للمكان بتفاصيله الدقيقة، وكأنه يستحضر كل ذكرى تتعلق بالمدينة، ويخشى أن تنفلت من ذاكرته، وكأنه يريد في هذه الرواية تخليد تفاصيل السنوات العشرة التي شكّلت وعيه قبل أن يهاجر إلى إسرائيل، مؤرخا أيضا لأماكن التواجد اليهودي بالمدينة في تلك الفترة الزمنية:

" ממרפסת דירתנו בקומה השנייה של מספר24 ברחוב הדלתא באלכס נראה ים התיכון קרוב ביותר. בקיץ זה היה יתרון – רק לחצות את הקורניש הלוהטת כדי לטבול בקרירות הנעימה. בחורף, הגביה את גליו הזועמים ושליח לעברנו רוחות עזות שאיימו לבלוע אותו." (61)

يبدو البحر المتوسط من شرفة مسكننا في الطابق الثاني من البناية رقم 24 بشارع الدلتا قريبا للغاية. "كان هذا الصيف حاميا. أعبر (الكورنيش) القائظ فحسب، لأستمتع بالبرودة الحلوة. في الشتاء، تعلو أمواجه الغاضبة مرسلة إلينا رياحا قوية تنذر بابتلاعه."

يذكر الكاتب تلك التفاصيل والأسماء الدقيقة للأماكن والشوارع التي ربما لا يعرفها إلا من عاش حقا في المدينة وشعر بطعم الحياة فيها؛ فيذكر (الكورنيش)، و(الترام) بأسمائها العربية التي ينطق بها أهل المدينة، كما يذكر كثيرا من الأحياء ككليوباترا، ومحطة الرمل، وشارع شريف، ومبنى سفارة إيطاليا الأثري في محطة الرمل، والمتحف اليوناني الروماني، والفنار، وغيرها من المعالم شديدة الحميمية لأبناء الإسكندرية.

"כעבור שנת 1910, נחתה משפחתנו על חופי אלכסנדריה ופרק חדש נפתח בחיינו."(62)

بمرور سنة 1910، هبطت أسرتنا على شواطئ الإسكندرية وبدأ فصل جديد من حياتنا."

يؤرّخ الكاتب على لسان البطل (ألبير جورمزانو) والشخصيات المحيطة به علاقة اليهودي بالزمكان؛ أي بمحيطه المكاني في تلك الفترة؛ حيث يتحدّث عن أسباب هجرة أسرته من تركيا إلى الإسكندرية قبل اندلاع حرب البلقان، ذاكرا وضع اليهود في تركيا في تلك الفترة، وعلاقتهم بالمسلمين والمسيحيين هناك، ذاكرا الأسباب التي اندلعت بسببها حرب البلقان ثم الحرب العالمية الأولى؛ وذلك من خلال شخصية (كوتشوك بك) صديق العائلة التركي:

" עד שבא היום הגורלי. קוצ'וק ספר לי על מלחמתו נגד המוסקוביטים . הוא היה גאה על השתתפותו בקרב הגדול בבולגריה נגד הרוסים תחת פיקודו של אוסמן פאשה האגדי."

......

–גם אבא שלי נלחם נגד המוסקוביטים ? שאלתי.

–לא ...

– למה? אמרתי מאוכזב.

– היהודים לא אוהבים מלחמות.

– והטורקים?

הטורקים עם לוחם....

–והמוסקוביטים?

–מוגי לב! נוצרים... טפו! אוהבים לשחוט יהודים. לא פחות משהם אוהבים לשחוט טורקים." (63)

" حتى جاء اليوم المصيري؛ ذلك اليوم الذي حكي له فيه (كوتشيوك بك) عن حربه ضد الروس. لقد كان فخورا باشتراكه في المذبحة الكبرى في بلغاريا ضد الروس تحت قيادة عثمان باشا الأسطوري."

...

–هل شارك أبي أيضا في الحرب ضد الروس؟

–لا...

– لماذا؟ قلت محبطا.

– اليهود لا يحبون الحروب.

– والأتراك؟

– الأتراك شعب محارب...

– والروس؟

– جبناء! نصارى ... اتفو! حبهم لذبح اليهود ليس أقل من حبهم لذبح الأتراك."

ولا يدلّل الكاتب على كوزموبوليتانية الإسكندرية بصورة مباشرة فحسب، بل يضمّن النص كثيرا من العلامات الدالة على التعدّد الثقافي الذي كانت تعجّ به المدينة في تلك الفترة، لاسيما استخدامه لكثير من العبارات الفرنسية في لغة الحديث بين اليهود في روايته، وهي الظاهرة ذاتها التي تحدّث عنها الكاتب حيث قال في لقائه التليفزيوني:

" لقد كانت الفرنسية لغة اليهود في الإسكندرية آنذاك، لم أكن أعرف من العربية إلا بضع كلمات قليلة..." (64)

يمتلئ النص بعدد من العلامات الزمكانية التي ينفتح فيها النص لنجد " المكان مشحونا ومستجيبا لحركات الزمن والحبكة والتاريخ..." (65)، كتوقيع البطل في نهاية القصيدة التي كتبها في رثاء أخيه: (ألبير جورمزانو، الإسكندرية 1918.) (66) وكأن الكاتب يختبئ خلف البطل ليوثّق بحادثة غرق أخيه في البحر علاقة المكان بالإنسان؛ إذ قد ينقلب المكان الحميم ذاته إلى مكان معاد يحمل إلى جانب الذكريات الحميمة ذكريات أخرى قاسية:

"נותרתי תמיד על החוף וצפיתי בו עד להיעלמו בין הסלעים שהקיפו את המגדל." (67)

" انتظرت دائما على الشاطئ ناظرا إليه حتى يختفي بين الصخور المحيطة بالفنار..."

ولا يقف المكان عند حدوده الفيزيقية فحسب، بل يمتلئ وقت حكاية القصة بعلاقات وتفاعلات بين الأشخاص الذين يعيشون في إطاره؛ " ففي البناء السردي تتألف الشخصيات من هذا (الفاعل اللغوي) ومن الذاكرة الجمعية للقص إذ تحضر إلى ذهن القارئ. فثمة علاقة تنشأ أثناء عملية التأليف، وبالتالي القراءة للنص السردي، من التحام الموضوعات المألوفة للقصص وما يتصل بذلك من أسماء الشخصيات وغيرها باللغة كخطاب له بنيته الخاصة." (68)

يؤرّخ النص لعلاقة اليهود والعرب – كما يسميهم الكاتب في النص– فالرواية ليست حالة من النوستالجيا والحنين للمكان والزمن الغابر فحسب، لكنها تمثل شاهد عيان على تاريخ علاقة الجاليات التي سكنت المكان بأهله، وعلاقة أهله بهم.

"בערבית מצרית זה "דומאני" זה "בוקרא" ו"בוקרא" זה כמו לעולם לא, לכן אנחנו לא דוחים למחר את מה שאפשר לעשות היום. הפועלים המצריים מאד זריזים וגם מאד זולים." (69)

" بالعربية المصرية "دوماني" معناها "بكرة" و(بكرة) ده لايأتي أبدا، لكن نحن لا نؤجل ما يمكن أن يتم اليوم للغد. العمّال المصريون غير دقيقين وأجورهم مرتفعة."

هكذا لا يعدّ اليهودي نفسه مواطنا حقيقيا، إنّه ينظر لأبناء الوطن الذي يقطنه دوما بوصفهم آخر، فهو لا يستطيع التخلّص من مفهوم (الجوي) أو (الآخر) الذي طبعته به الديانة اليهودية، ذلك المفهوم الذي عمّق لدى البطل، رغم رفضه للدين والإله، شعوره بالاغتراب الدائم، وأنّ كونه يهوديا رديف للغربة الدائمة عن المكان وأهله، حتى لو شعر بالإلف بينهم.

ويبقى عنوان الرواية (شواطئ الإسكندرية) عنوانا يحمل صبغة المكان، وروح الحنين والاشتياق لفترة بعينها من حياة الكاتب، تلك الفترة التي لطالما ذكرها بقوله إنها كانت الفترة الذهبية في حياته.

يحمل العنوان حنينا للمدينة في الوقت الذي عاصرها فيه الكاتب، حين كانت مدينة (كوزموبوليتانية) بحق، متعددة الثقافات والهويات في غير تنافر، تحمل روح الغرب ومدنيته في قالب شرقي.

ويوظّف الكاتب عبارة (شواطئ الإسكندرية) أكثر من مرة في الأحداث؛ وكأنها علامة فارقة في تاريخ أبيه الشخصي، فجثة الأخ الذي ابتلعته أمواج البحر قُذفت بعيدا عن شواطئ الإسكندرية، والشواطئ ذاتها كانت بداية رحلة البطل في مصر ومفارقتها كانت إيذانا ببداية جديدة في أرض جديدة.

"כעבור שנת 1910, נחתה משפחתנו על חופי אלכסנדריה ופרק חדש נפתח בחיינו."[70]

بمرور سنة 1910، هبطت أسرتنا على شواطئ الإسكندرية وبدأ فصل جديد من حياتنا."

ويقترن الزمان بالمكان أيضا في ختام الرواية، وختام حياة البطل والكاتب في مصر، ولا يفوت الكاتب أن يضع للفصل الأخير عنوانا جانبيا يحمل اسم (شواطئ الإسكندرية):

ביום חורפי אפרורי וקר, הפליגה מחופי אלכסנדריה האנייה היוונית " אאאולייה" היעד שלה מרסיי. מרסיי הייתה תחנת ביניים לישראל. נסעו בהרכב מצומצם. הבנים כבר שהו שם. הסבתא נותרה מאחור ותצטרף אלינו רק כעבור שנה.

דצמבר 1951.

שלחתי מבט אחרון מהאונייה אל אלכס המתרחקת ממני, העיר שהכרתי ואהבתי.

.....

שוב לא אזכה בחיי לראות אותך, אלכס. לא אשוב לראותך ליביה. אלכס ליביה." [71]

ذات يوم شتوي قارس بارد، أبحرتْ من شواطئ الإسكندرية الباخرة اليونانية (ألويا)، متوجهة نحو مرسية. مرسية كانت محطة بينية لإسرائيل. كان الأبناء بالفعل هناك. سافروا على نطاق محدود. خُلّفت الجدة وراءنا وستلحق بنا فقط بعد مرور عام.

ديسمبر 1951.

أرسلتُ نظرة أخيرة من الباخرة إلى الإسكندرية التي تبتعد عني، تلك المدينة التي عرفت وأحببت.

.....

لن أحظى مرة أخرى في حياتي برؤيتك، أيتها الإسكندرية. لن أراك مرة أخرى يا ليبيا. الإسكندرية ليبيا."

هكذا صارت الإسكندرية في خيال البطل رديفا للحبيبة التي لم يستطع يوما الاقتران بها، حبيبته الأولى (ليبيا)، فتتوحد المدينة والمحبوبة، لتصبح لحظة وداعه المدينة، وداعا للحبيبة المكان والإنسانة.

ليحقّق البطل (ألبير جورمزانو) أحد أهم سمات شخصية المنفيّ؛ فهو " يقع في منطقة وسطى، فلا هو يمثل تواؤما كاملا مع المكان الجديد، ولا هو تحرّر تماما من القديم." [72]

وهنا يثير الناقد الإسرائيلي (رامي قمحي)* قضية توجّه كتّاب الأدب العبري ذوي الأصول الشرقية بتخصيص كتاباتهم عن مسقط رأسهم في الشرق، طارحا تساؤلا مهما حول الجمهور الهدف، أو المتلقي الذي يضعه الكاتب نصب عينيه وقت الكتابة؟ هل هو المتلقي الإسرائيلي؟ وماذا يهمّ ذلك المتلقي من أعمال تفوح برائحة النوستالجيا للماضي ولأمكنة غابرة؟ [73]

وتتفق الباحثة مع الناقد قمحي في أنّ جورمزانو جورن لم يعن في روايته بالتأريخ لواقع اليهود الشرقيين، أو حياة اليهود في مصر، أو حتى الحالة الاجتماعية والثقافية ليهود مصر في النصف الأول من القرن العشرين، لكنه قدّم سيرة تفوح بالذاتية عن حياة أسرته وتاريخها في الإسكندرية، وكأنّه يقدّم تيارا موازيا لتيارات الكتابة الموجهة للجمهور الإسرائيلي؛ تيار يعرض للتجربة الإنسانية التي تفوح برائحة الذاتية، وهو ما يخرجها عن مسار الأدب صهيوني الهوى.

ويتساءل الناقد رامي قمحي – في الصدد نفسه– عن غاية يتسحاق جورمزانو جورن في الوقت الراهن من طرح هذه الحالة من النوستالجيا على الجمهور الإسرائيلي؛" فالكتّاب الشرقيون قبل تأسيس جماعة ערס פואטיקה (عرس الشعر)* كانوا أصحاب توجه أحادي ... وهذا الجمهور

من الكتّاب لم يقم علاقات حقيقية مع الجمهور الإسرائيلي وتعاملوا معه بنطق (الآخر)، أو بوصفهم أدباء من الأقليات." (74)

وتختلف الباحثة مع الناقد في ضرورة توجيه الوعي الجمعي لمتلقي الأدب، فهل لابد أن يتناول الكتّاب مهما تعددت مشاربهم واتجاهاتهم الموضوعات ذاتها ويدورون في فلك القضايا ذاتها. فمهمة الأدب الحقيقية تكمن في الثورة على السائد والمألوف وتعبير الكاتب عن ذاته كيفما يريد وللجمهور الحق في التعرّف على ثقافات مغايرة ورؤى مختلفة. أمّا تنميط الأدب وقولبته فتعني الجمود والموت لذلك الأدب.

المبحث الثالث

الحدث التاريخي وكتابة سيرة المنفى

تقترن كتابة السيرة دوما بتأريخ الحدث التاريخي وتأثيره على حياة كاتب السيرة؛ فالأحداث التاريخية تؤثر في حياة الأفراد كتأثيرها في حياة الشعوب والمجتمعات.

وقد شُغل جورمزانو في سيرته باستعادة ملامح المكان في حقبة زمنية بعينها؛ أي الإسكندرية في النصف الأول من القرن العشرين؛ حيث يستعين جورمزانو بالصبغة الروائية كالبناء، ورسم الشخوص، لكنها رواية تفتقر إلى روح الخيال التي تخيّم على الإبداع الروائي، إنها تأريخ للمكان وعلاقته بالزمان والشخوص يعتمد فيه الكاتب على الذاكرة أكثر من اعتماده على التاريخ الفعلي. وكأنّ جورمزانو يعيد تركيب المدينة/ الإسكندرية كما تصورها له ذاكرته وحكايات أبيه وجدته، لا كما تحكيها المصادر التاريخية؛ ومن ثمّ فإنّه يعيد ترتيب الأحداث والوقائع كما تتراءى في ذاكرته، وكما تمليها طبيعة الحدث الشخصي الذي يقصه. فهو لا يذكر أيّة أحداث تاريخية مرّت بمصر حين عاش فيها، وهو من عاصر الحرب العالمية الأولى والثانية في مصر، فلم يحّدّثنا مثلا عن أثر هاتين الحربين على مصر، أو حتى على اليهود فيها.

يذكر جورمزانو عددا من الأحداث التاريخية التي أثّرت في حياة عائلته وحياة الطائفة اليهودية في تركيا ومصر؛ فحين قصّ واقعة هجرة عائلته من تركيا إلى مصر، كان الحدث التاريخي وراء هذه الهجرة.

وهو ما يظهر من خلال سرد شخصية (كوتشيوك بك) صديق العائلة التركي لوقائع اندلاع شرارة حرب البلقان واضطهاد اليهود – كما أشرنا من قبل.

" עד שבא היום הגורלי. קוצ'וק ספר לי על מלחמתו נגד המוסקוביטים . הוא היה גאה על השתתפותו בקרב הגדול בבולגריה נגד הרוסים תחת פיקודו של אוסמן פאשה האגדי."(75)

" حتى جاء اليوم المصيري؛ ذلك اليوم الذي حكي له فيه كوتشيوك بك عن حربه ضد الروس. لقد كان فخورا باشتراكه في المذبحة الكبرى في بلغاريا ضد الروس تحت قيادة عثمان باشا الأسطوري."

فالكاتب لا يقدّم الأحداث التاريخية الكبرى بصورة تقريرية مباشرة بل يقدمها من خلال تأثيرها على حياة البطل وأسرته؛ فالحرب العالمية في تركيا والخوف من دخول الروس الذين يكرهون اليهود تركيا كان الدافع وراء هجرة عائلة جورمزانو إلى الإسكندرية. فالكاتب لم يذكر تلك الدوافع بصورة مباشرة بل جعلنا نعرف هذه الدوافع من خلال حواره مع كوتشيوك بك عن الحرب.

الأمر نفسه حدث مع حديث جورمزانو عن الحركة الصهيونية وتهجير اليهود إلى إسرائيل؛ إنّه يدمج الحدث التاريخي مع حركة السرد ، ليظهر الحدث التاريخي دوما وراء هجرة أسرة جورمزانو ، يقول ميشال بوتور : " إنّ الفرق بين حوادث الرواية وحوادث الحياة ليس في أننا نستطيع التثبت من صحة هذه، بينما لا نستطيع الوصول إلى تلك إلا من خلال النص الذي يظهرها فحسب، بل هي (أي حوادث الرواية) أكثر تشويقا من الحوادث الحقيقية." (76)

فالكاتب إنْ حدّثنا عن الحدث التاريخي مجرّدا سيفقد النص لذة التشويق، أمّا لو كان لهذا الحدث أثر مباشر أو غير مباشر على الأبطال، فسوف تتولّد لدى القارئ متعة التشويق لمعرفة مصير هؤلاء الأبطال.

يقول البطل:

"הפרויקט הציוני בראשיתו לא הביא כלל חשבון את מילון יהודי ארצות ערב. הוא יודע לפתור את בעייתם של שמונה עשר מילון יהודי אירופה. עם זאת, מדהים לגלות איזה אחוז מזערי מהמסה הזאת נחלץ להגשים את חלום הדורות של העם היהודי. הרוב העדיף לרבוץ במקומו או להגר לאמריקה." (77)

" المشروع الصهيوني في بدايته لم يقم أي وزن لمليون يهودي في البلاد العربية. بل فضّل أن يحل مشكلة ثمانية عشر مليون يهوديا في أوروبا. بالرغم من ذلك، فمن المدهش أن نرى الحد

الأدنى من هذه الكتلة يذهب لتحقيق حلم أجيال من الشعب اليهودي. بيد أنّ الأغلبية تفضل أن تظل في مكانها أو أن تهاجر إلى أمريكا."

وقد أعلن الصهيونيون أنفسهم أنّه لم يكن هناك مطلب جماهيري بين يهود مصر للهجرة إلى فلسطين في الفترة التي سبقت 1948. ويتضح ذلك من أعداد المهاجرين القليلة من مصر إلى إسرائيل في ذلك الوقت. فيشير إحصاء السكان الإسرائيلي عام 1961 إلى أنّ 890 يهودي فقط من مصر والسودان قد هاجروا إلى إسرائيل حتى عام 1931، وأنّ 1145 هاجروا من مصر في الفترة من 1932 إلى 1939، وأنّ 1985 هاجروا في الفترة من 1940 إلى 1947.[78]

تتضمن الرواية رصدا لردود أفعال اليهود المصريين إزاء النشاط الصهيوني في مصر قبل 1951، والتي تباينت بين مؤيد ومعارض من الطائفة اليهودية، حيث يعكس الحوار الذي دار بين البطل وحبيبة ابنه رؤية الفريقين؛ فريق يرفض الهجرة إلى فلسطين، ولا يعترف بإسرائيل – وهو الغالبية– وفريق آخر يؤيد الهجرة يمثله البطل.

–רפאל הכניס לעצמו לראש את הפלסטינה הזאת!

–את מתכוונת לישראל? תיקנתי אותה.

–בסדר– ישראל! אז אני לא רוצה לישראל, בסדר,לא רוצה לעזוב את אלכס," קראה בהתרגשות קרובות לדמעות. ואני מתחננת אליך שתתמוך בעמדה שלי. אתה היחיד שיכול להוציא לו מהראש את הפלסטינה הזאת... ישראל.

.....

–אמרו לי שאתה לא ציוני...

–אני אולי לא ציוני, אבל אני הגיוני: אם יש מדינה ליהודים ההיגיון אומר שכל היהודים צריכים להיות שם, וזה כולל כנראה גם את מדמואזל! [79]

–רפאיל أدخل في عقله هذه ال(فلسطين)!

– تقصدين إسرائيل؟ صوّبت لها.

– حسنا– إسرائيل! إذا أنا لا أريد هذه ال(إسرائيل)، حقا، لا أريد أن أترك الإسكندرية، قالت ذلك بمشاعر أقرب إلى الدموع. وأنا أتوسل إليك أن تعضد موقفي. أنت الوحيد القادر على أن تخرج من رأسه هذه (الفلسطين) ... إسرائيل.

.....

–قالوا لي إنك لست صهيونيا...

ربما أكون لست صهيونيا، لكنني منطقي: فإذا كانت هناك دولة لليهود فالمنطق يقول إنّه يجب على كل اليهود أن يكونوا هناك. وهو –بديهيا– يا مدموازيل ما يتضمنك.

وبمضاهاة ذلك الرصد التاريخي الذي تقدمه الرواية لتاريخ الصهيونية في مصر، نجد أنّ الطائفة اليهودية في مصر لم تقبل على الحركة الصهيونية الوافدة إليها من الغرب، ففي الوقت ذاته الذي تفاقمت فيه المشكلة اليهودية في أوروبا أثناء الحربين العالميتين لم تشهد أوضاع اليهود المصريين أيّة مشكلات.

ويشير ش. هاششموني (أحد دعاة الصهيونية بين يهود مصر) في تقرير بعث به من القاهرة سنة 1913 إلى اللجة التنفيذية للمنظمة الصهيوينة إلى أنّ معظم اليهود المصريين لا يعترفون بوجود هذه المنظمة. (80)

إلا أنّه مع نشوب الحرب الإسرائيلية وقيام دولة إسرائيل 1948 على أرض فلسطين تزايد نزوح اليهود من مصر بشكل منظّم يتوافق وأهداف الحركة الصهيونية، وهو ما أكده الكاتب اليهودي (روبرت تيجنور) الذي أكّد أنّ التوتر الذي نشأ بين اليهود في مصر في القرن العشرين كان نتيجة مباشرة للحركة الصهيونية التي مزقت الطائفة اليهودية في مصر. (81)

يقدّم جورمزانو تاريخ الحركة الصهيونية وتفضيلها تهجير يهود أوروبا أولا لحلّ (المشكلة اليهودية) أو اضطهاد اليهود في أوروبا، ذاكرا حقيقة تأجيل المشروع الصهيوني تهجير يهود البلاد العربية، بيد أنّ جورمزانو يقدّم هذا الحدث التاريخي من منظور صهيوني بحت، وهو ما يناقض تقديم

البطل نفسه على أنّه ليس صهيونيا. فمن المعروف أنّ يهود الدول العربية لم تكن لديهم أية مشكلات من حيث التأقلم أو أيّة اضطهادات كيهود أوروبا، وهو ما ذكره البطل نفسه عن إقامته في الإسكندرية بوصفها نموذجا لتكّيف اليهود، واندماجهم.

كما يذكر جورمزانو الحرب العالمية الثانية وأحداث النازي التاريخية بوصفها أحداث أثّرت في حياة اليهود، وأزكت الهجرة اليهودية لفلسطين، ليأتي الحدث التاريخي دوما محرّكا لأحداث فارقة في تاريخ اليهود في السرد:

" באה השואה וטרפה את כל הקלפים. גם השורדים, לא כולם הגיעו לארץ ישראל, אם בגלל העדפות אחרות ואם עקב הצרת צעדי העלייה על ידי בריטניה המנדטורית. שש מאות אלף יהודים בלבד היו בארץ ישראל כשהכריז בן גוריון על כינון מדינה ליהודים."[82]

"جاءت أحداث النازي وقلبت الموازين. فلم يصل كل الناجين أيضا أرض إسرائيل (فلسطين)، إمّا بسبب تفضيلات أخرى، وإمّا بعد تضييق خطوات الهجرة من قبل الانتداب البريطاني. حين أعلن بن جوريون تأسيس دولة لليهود كان في فلسطين ستمائة ألف يهودي فقط."

وترى الباحثة أنّ طبيعة البطل المغترب المنفيّ دائما كانت وراء هذا الانتقاء التاريخي في سرد الأحداث، فالبطل المنفيّ لا يعدّ نفسه جزءا من المكان/ مصر/ الإسكندرية رغم حبّه الشديد لها؛ فهو متشبّع باللاانتماء، لا يستطيع أنّ يمد لنفسه جذورا حقيقية في مصر، وهو ما نلاحظه أثناء مناقشته قضية الانتماء مع صديقه الإيطالي الذي تمنّى لو أنه ولد في الإسكندرية وكانت له وطنا.

"... אתה לא מצרי במובן שבו אני איטלקי! ידוע שאתם היהודים לא שייכים לשום מקום.

–אני מחזיק בדרכון מצרי, קבעתי בתרווה שיסתפק בכך.

–דרכון זה חתיכת קרטון! מהי המולדת האמיתית שלך?

– חייבת להיות מולדת? הלאומיות... הדת.... האם לא הן אחראיות לכל הזוועות האיומות שפקדו את המין האנושי?

.....

המולדת שלי היא אולי אותיות, ספרים. ספרים הם המולדת שלי." (83)

" بالطبع أنت لست مصريا مثلما أنا إيطالي! فمن المعروف أنكم أيها اليهود لا تنتمون لأي مكان.

–أنا أحمل جواز سفر مصري. حددت آملا أن يكتفي بهذا.

– جواز السفر هذا قطعة كرتون! ما وطنك الحقيقي؟

– هل لابد أن يكون هناك وطن؟ القومية... الدين... أليست هي المسؤولة عن كل الفظائع التي لحقت بالجنس البشري؟

....

إنّ وطني الحروف، الكتب. الكتب وطني."

ومن الجدير بالملاحظة أنّ البطل (أبراهام جورن) لم يكن مصريا خالصا، فهو يهودي مهاجر من تركيا إلى الإسكندرية بفعل الظروف السياسية، ربما يكون قد أحب المكان واعتاده، وكوّن ذكريات بين جنباته، لكنه يحمل بداخله روح المغترب أو المنفيّ الباحث عن وطن، لذا فإنّ شعوره باللاانتماء أمر طبيعي، تزكيه البنية الدينية الكامنة بداخل كل يهودي حتى وإن لم يكن متدينا أو تمرّد على الإله.

تقدّم الرواية صورة من حياة أسرة ممن يطلق عليهم " اليهود المصريين الإشكناز"؛ (84) وهم أولئك اليهود الذين هاجروا إلى مصر من أروبا مع الحرب العالمية الأولى أو الثانية، لكنهم لم ينخرطوا في المجتمع المصري، ولم تكن العربية لغتهم الام؛ وهو ما أقرّ به الكاتب نفسه في حديثه التليفزيوني عن كونه لم يكن يجيد العربية، وكان يعيش هو وأسرته حياة غربية، وكانت الفرنسية لغتهم الام.

وترى الباحثة أنّه رغم أنّ الرواية تبدو شديدة الذاتية، إلا أنّ القارئ يستطيع أن يلمح فيها جانبا من أطياف اليهود الذين سكنوا مصر يوما ما؛ فمنهم من انتمى إلى المكان قلبا وقالبا وتحدّث العربية وكانت مصر له وطنا حقيقيا، ومنهم من كان مثل البطل (أبراهام جورن) يحمل جواز سفر مصري، لم يكنّ انتماء حقيقيا للمكان رغم حبه له الذي ظهر في مشهد وداعه للمدينة.

رؤية الباحثة

تهدف هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

هل عانى البطل من النوستالجيا؟ وما أمارات شعوره بها؟

فإذا عدنا إلى تعريف النوستالجيا سنجد أنها ليست حنينًا للأماكن فحسب، بل حنينًا للمكان والشخصيات والذكريات المحيطة بذلك المكان؛ وهي الأمور التي عانى منها البطل ؛ فالرواية التي كتبها الابن على لسان أبيه والتي تحمل سيرته نلمح فيها حنين الأب (أبراهام)/ البطل إلى الإسكندرية بكل تفاصيلها؛ ليحكي لنا قصة حبه مع (ليبيا) الفتاة التي لم يستطع الزواج منها، ويتذكر المكان بتفاصيله الحميمة كعنوان المنزل، وتفاصيل الشرفة التي كانت تطل على البحر، وشعوره برائحة البحر صيفا وشتاء، يذكر المكان في تلك الفترة وما يحمله من صورة الشخصيات كأخيه الذي غرق في البحر، وهو ما تجلى تماما في مشهد وداعه للمدينة في نهاية الرواية.

والسؤال الأهم هل يستطيع القارئ أن يربط بين تلك النوستالجيا والانتماء إلى المكان؟

فالانتماء في أحد تعريفاته هو: "من الحاجات المهمة التي يشعر بها الفرد، كونه جزءا من مجموعة مثل: الأسرة، الرفاق، المهنة، أو الوطن. والمنتمي للجماعة يتمسك بمعاييرها ويتوحد مع نظامها، بل قد يقدّم أهدافها على أهدافه الشخصية، كما يلزم نفسه بسلوكيات تحبذها وترضى عنها."(85)

"تحدّد مشاعر الانتماء هذه هوية الفرد وعلاقتنا بالأمور التي تنتمي إلينا، وما ننتمي نحن إليه، فتجعلنا نفرّق بين هذا وذاك، وتشعرنا بالتميّز". (86)

وهي أمور لم تتوفر في شخصية البطل (ابراهام جورن) الذي لم ينتم طوال صفحات الرواية لعقيدة أو وطن، أو حتى فكرة بعينها؛ فيقول: " أنا أحمل جواز سفر مصري" ولا يصرّح أبدا بكونه مصريا، ونراه رغم عدم إعلانه إيمانه بالصهيونية يؤمن بفكرة تجميع اليهود في وطن يجمع أشتاتهم، بل ويعمل على تحقيق تلك الفكرة ويهاجر هو وأسرته.

فالبطل –كما صرّح ابنه سواء في الرواية أو الحوار التليفزيوني الذي أجرى مع الكاتب والذي يحمل كثيرا مما جاء في الرواية – لم تكن العربية لغته الأم بل كانت الفرنسية اللغة التي يتحدث بها مع أفراد أسرته، ومن حوله.

فقد كان –كما ذكرنا من قبل– من طائفة اليهود الإشكناز الذين عاشوا في مصر بثقافة موازية فلم ينخرطوا في المجتمع بعاداته وثقافته وتقاليده، بل كان المكان بالنسبة لهم محطة في حياتهم أو مجرد نُزُل يقيمون فيه إلى حين.

نأتي إلى السؤال الأخير في هذه الدراسة؛ هل توفرت سمات أدب المنفى في العمل؟

ذكرنا من قبل أنّه ثمة ملمح فارق يميّز المهاجر عن المنفيّ، " ففي الوقت الذي يقوم فيه كل من المنفي والمهاجر بعبور الحدود بين مجموعة قومية أو اجتماعية وأخرى، فإنّ موقف المنفيّ من الثقافة المضيفة سلبي، فيما يتخذ المهاجر من تلك الثقافة موقفا إيجابيا... إنّ النوستالجيا الخاصة بالمنفي تدفع الفرد في العادة لكي يكون غير مبالٍ بالقيم والخصائص المتعلقة بالثقافة المضيفة، إنّ المنفيّ يختار –إذا كان بمقدوره– أن يختار أن يعيش في سياق غير مرحب، سياق يشبه الوطن." (87)

كما يتميز أدب المنفى بكونه أدبًا يطرح مفاهيم تتجاوز مفهوم الغربة والحنين إلى الوطن، إنّه أدب يعكس التفاعل والانفتاح على ثقافة جديدة برؤية غير متحيّزة، ويطرح فكرة الأصل والثقافة والعرق ليضعها تحت مجهر التجربة الإنسانية. (88)

تتجلى سمات البطل المنفيّ في بطل رواية (شواطئ الإسكندرية)؛ حيث نراه يحب المكان حقا، لكنه لا ينتمي إليه ثقافيا، فيتحدث الفرنسية بدلا من العربية، ولا نراه طوال صفحات الرواية يختلط بأبناء المكان، بل يعترف اعترافا ضمنيا بعدم انتمائه لمصر بوصفها وطنا؛ فهي بالنسبة له ليست أكثر من (جواز سفر).

والرواية تطرح – بالفعل– عددا من التساؤلات حول فكرة الأصل والانتماء والهوية؛ وإلام ينتمي المرء هل ينتمي إلى المكان الذي يستوطنه أو إلى ديانته أو عرقه، ورغم إعلان البطل عدم

إيمانه بالديانة اليهودية، إلا أنّ الباحثة ترى أنّ إعلانه هذا في بداية الرواية لم يكن أكثر من صرخة احتجاج على الإله تماما – كصرخة النبي حبقوق– * وهو احتجاج منبعه الديانة أيضا التي تعد اليهود بالاجتماع يوما ما في أرض الميعاد.

إنّ البطل يعلن موت الإله – كنيتشه– لكنّه يقع في شرك الإيمان بأفكار الديانة التي يرفض إلهها، لا لشيء إلا لكونه يرى الإله اليهودي تخلى عن اليهود وتركهم مشتتين بين الشعوب؛ وهنا يربط البطل شأنه شأن أي يهودي بين الديانة والعرق والهوية؛ وهو ما جعله يؤمن بالحل الصهيوني ويهاجر إلى فلسطين في نهاية العمل.

نتائج الدراسة

1-استخدم الكاتب تقنية (الميتا- رواية) أو الرواية داخل الرواية ليتخفى وراء شخصية الأب موهما القارئ أنّ الأب أو بطل العمل يكتب سيرته، ليبث على لسان الأب تساؤلاته حول مفهوم الوطن وحقيقته.

2- يمثل تغيير اسم البطل من (ألبير) إلى (أبراهام)، وكذا تغيير اسم ابنه/ الكاتب من (روبرت) تيمنا بالممثل الأمريكي روبرت تايلور إلى (يتسحاق) أهمية في تفسير المتلقي لشخصية البطل التي قد تحمل كثيرا من التناقضات.

حيث تبدو البنية الدينية كامنة في شخصيته الحقيقية رغم ارتدائه ستار اللاديني، أو الشخصية التي لا تؤمن إلا بالكتب والفلسفة، وهو ما ظهر تماما في وجهة نظره بوجوب وجود وطن يجمع اليهود، فالشخص الذي لا يمثل له الدين أهمية في حياته، لن يتحدث عن تجميع اليهود، لاسيما أنّه كان متأقلما في الإسكندرية قبل قراره تركها.

3- تمثل شخصية (ألبير) أو (أبراهام) نموذجا للشخصية المنفية المغتربة التي تعيش دوما في سياق مغاير تصنعه لنفسها؛ فقد اختار لنفسه منذ بداية الرواية مسارا خاصا يختلف عن أسرته وأبناء طائفته، لم يندمج معهم أو مع غيره، بل عاش في عالم مواز صنعه من خلال الكتب، لم ينتم لتركيا أو مصر، ولم يؤمن بوجود إله؛ لأنّه اختار أن يعيش دوما في دور الخارج عن المألوف.

4-تفوح النوستالجيا من وصف الكاتب للمكان بتفاصيله الدقيقة، وكأنه يستحضر كل ذكرى تتعلق بالمدينة، ويخشى أن تنفلت من ذاكرته، وكأنه يريد في هذه الرواية تخليد تفاصيل السنوات العشرة التي شكّلت وعيه قبل أن يهاجر إلى إسرائيل.

5- صارت الإسكندرية في خيال البطل رديفا للحبيبة التي لم يستطع يوما الاقتران بها، حبيبته الأولى (ليبيا)، فتتوحد المدينة والمحبوبة، لتصبح لحظة وداعه المدينة، وداعا للحبيبة المكان والإنسانة.

ليحقّق البطل (ألبير جورمزانو) أحد أهم سمات شخصية المنفيّ؛ فهو " يقع في منطقة وسطى، فلا هو يمثل تواؤما كاملا مع المكان الجديد، ولا هو تحرّر تماما من القديم."

6- تفتقر الرواية إلى روح الخيال التي تخيّم على الإبداع الروائي، وتبدو كأنها تأريخ للمكان وعلاقته بالزمان والشخوص يعتمد فيه الكاتب على الذاكرة أكثر من اعتماده على التاريخ الفعلي، وهي سمة روايات السيرة.

7- لا يقدّم الكاتب الأحداث التاريخية الكبرى بصورة تقريرية مباشرة بل يقدمها من خلال تأثيرها في حياة البطل وأسرته، فالكاتب لم يعن بتقديم رواية عن واقع يهود مصر بقدر ما حملت روايته روح الذاتية، فهو يؤرّخ لتاريخ أسرته أكثر مّما يؤرخ مثلا للحياة الاجتماعية لليهود في تلك الفترة، وكأنّه يقّدم تيارا إنسانيا يفوح بالذاتية أكثر مما حملته روايتيه السابقتين عن الإسكندرية (صيف سكندري) و (بلانش).

قائمة المصادر والمراجع

1-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط3، الجزء الرابع عشر، بيروت، 1414هـ ص330

2-تودوروف: نحن والآخرون: النظرة الفرنسية للتنوع البشري، ترجمة: د. ربي محمود، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، 1998، ص384-385.

3- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006 ص94،92-95.

4-المرجع السابق: ص95

5- Tim Wildschut and Costantine Sedikedis,university of southampton, Jamie Ardnt, university of Missouri, Nostalgia, content, Triggers& functions, journal of personality and social psychology, 2006, vol, 91, no.5, 975-993

6-IBID

7- Constantine Sedikedes, Tim Wildschut, Jamie Arndt& Clay Routledge, Nostalgia: Past , Present & future, article in current directions in psychological science, October 2008.

8- חנה לוקשין בוב, גלות, נדודים ותקווה לגאולה, מיתרים, רשת לחינוך יהודי משלב.

Also, Joel Mokyr, The Oxford Encyclopedia of economic history, Oxford university press, 2003, p204.

*הגלות:الجالوت أحد تلك المصطلحات التي يرتبط فيها الديني بالسياسي في الوعي اليهودي، ويشير إلى إجلاء اليهود عن أرض فلسطين، والذي بدأ منذ إجلاء نبوخذ نصر اليهود سنة 686 ق م وترحيلهم إلى بابل. وهو في التوراة يعدّ أحد أقسى العقوبات التي وجهها الرب لبني إسرائيل.

עיין, עופר שיף, מולדת בגולה, תפיסות של שייכות וזרות בתפוצה היהודית (קובץ מאמרים), עיונים סדרת נושא 2015, הוצאת מכון בן גוריון, אונברסיטת בן בן גוריון.

9- עיין, אליעזר ברקוביץ, תהליך הגלות והגאולה, אתר דעת, האקדמית הרצוג.

ww.daat..ac.il – 2-3-2020 – 3 pm

10- William Safran, The Jewish Diaspora in a comparative and theoretical perspective, Israel studies, Indiana university press, volume 10, no1, spring 2005, p36.

11- עיין, חיים גנז, גלות ותפוצה, שתי ציוניות,

https://in.bgu.ac.il/bgi/iyunim/DocLib6/CG.pdf

22-3-2020 – 7 pm

12-د. أحمد عبد اللطيف حماد:الصهيونية وما بعدها، قراءة في الأنساق المضمرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2018، ص 53

ראו גם, אליעזר ברקוביץ, תהליך הגלות והגאולה, אתר דעת המכללה האקדמית הרצוג, עם' 142-141

13-د. عبد الله إبراهيم: السرد والاعتراف، والهوية: المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1،بيروت، 2011، ص21

14- Nancy.E. Berg, Exile from exile, Israeli writers from Iraq, suny series in Israeli studies, review by Reuven Snir, Hebrew studies, Published by: National Association of Professors of Hebrew (NAPH)

https://www.jstor.org/stable/27913463-
Page Count: 4
vol, 40, 1999, p391
22-3-2020-5pm

15- د. عبد الله إبراهيم: السرد والاعتراف والهوية: ص 19
16- انظر السابق: ص20
17- إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، ترجمة ثائر ديب، دار الآداب، بيروت،2004، ص131
18- جورج ماي: السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي- عبد الله صولة، بيت الحكمة، قرطاج 1992، ص 106.
19- المعجم الوسيط: قام بإخراج هذه الطبعة إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة 1972، ص 476
20-د. عبد المجيد البغدادي: فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، العدد الثالث والعشرون، باكستان 2016. ص191
21- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، لبنان، 1984، ص143.
22- محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الرباط، الجزائر، 1421هـ، ص 32.
23- جورج ماي: السيرة الذاتية: ص 106.
24- ورد هذا المصطلح في بحث بعنوان:
Michal chachum: Home in Diaspora and Diaspora at home, representations of diasporic domesticity in Zionist domestic discourse, Iyunim Betkaumyat Israel, Thematic series, vol 10.
25- راجع: د. أحمد حماد: الصهيونية وما بعدها، قراءة في الأنساق المضمرة، ص 35.
26- Nancy.E. Berg, Exile from exile, Israeli writers from Iraq, p13.
27- نقلا عن: د. أحمد حماد: الصهيونية وما بعدها، ص 18
للمزيد انظر: يوسف حاييم برنر: كل الكتابات، ج1، من هنا وهناك 1955، ص338
28- نقلا عن السابق: ص 18
29- انظر السابق ص 23
30- نقلا عن السابق: ص 24
31- انظر السابق: ص 56
للمزيد حول الأعمال العربية التي تناولت مصر في الأدب العبري الحديث انظر:
- د. محمد فوزي ضيف: صورة اليهودي المصري في الأدب العبري الحديث (دراسة في رواية صيف سكندري للكاتب يتسحاق جورمزانو جورن)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة 1995.
-د. زين العابدين أبو خضرة: صورة مصر في الأدب العبري الحديث، ، بدون ناشر،القاهرة 2003
- د. أشرف عبد العليم الشرقاوي: ملامح الشخصية اليهودية العربية في الرواية العبرية (تسلّل أفراد للكاتب يهوشواع جناز)، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ملحق للعدد الأربعين، يناير 2007.

32- انظر: د. جمال الشاذلي – د. نجلاء رأفت سالم: الأدب العبري الحديث – دراسات ونماذج مترجمة، الثقافة الحديثة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة 2016، ص 181 – 213

33- עיין, ברון, דיבורה, הגולים, עם-עובד, ת"א,1970.

حول هذه الرواية انظر: د. جمال الشاذلي – د. نجلاء رأفت سالم: الأدب العبري الحديث – دراسات ونماذج مترجمة، الثقافة الحديثة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة 2016، من ص 181 حتى 213

34- من حوار أجراه المحاور (ديفيد ميومني)، مع الأديب (يتسحاق جورمزانو جورن) اثناء وجوده في القاهرة في برنامج (أصوات)، تحدّث فيه جورن تفصيلا عن حياته وأعماله، ووجهة نظره في الحياة، وأفرد لرواياته الثلاثة عن الإسكندرية جزءا من هذا الحوار.

file:///C:/Users/HP/Desktop/nostalgia/Yitzhak%20Gormezano%20Goren%20-%20Seeing%20The%20Voices.html

23- 3-2020 – 6pm

35- السابق24-3-2020 – 2 pm

*حرب البلقان الأولى سنة1912: حيث اتحدت أربع دول هي: بلغاريا، واليونان، والجبل الأسود، وصربيا وهزموا الدولة العثمانية. انتهت الحرب بمعاهدة لندن 30 يونيو 1913. وخسر العثمانيون أكثر من ثمانين بالمائة من أراضيهم بالقسم الأروبي.

انظر: يوسف البستاني: تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني المؤلّف من البلغار والصرب والجبل الأسود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، من ص 25 حتى 35

-35

file:///C:/Users/HP/Desktop/nostalgia/Yitzhak%20Gormezano%20Goren%20-%20Seeing%20The%20Voices.html

6: 35pm – 2020-3- 23

36- על יצחק גורמזנו גורן עיין,

-ישראל גודביץ, השקר הקודש, מאת יצחק גורמזנו גורן,חוזת המדינה,באתר הארץ, 13-10-10

-נטע אלקסנדר, שובו של יצחק גורמזנו גורן, חוזת המדינה, באתר הארץ 9-12-2015

-יצחק גורמזנו גורן בלקסיקון הספרות העברית.

37- גורן, יצחק, גורמזנו, קיץ אלכסנדרוני, ספריה לעם עובד,1978,ע"ם 9.

38- יצחק גורמזנו גורן, חופי אלכסנדריה, הוצאת הקיבוץ המאוחד, ישראל, 2018, עם' 5

39- חופי אלכסנדריה,עם' 10

40- שם, עם'34

41- שם, עם' 42،41

42- שם, עם' 42،41

43- שם, עם'43

*مصطلح الميتا رواية: من المصطلحات النقدية الحديثة ويعني أن يتضمن العمل الروائي نصا روائيا موازيا بداخله، ككتابة المذكرات، أو الحديث عن مخطوط أو كتاب تدور الأحداث من خلاله.

للمزيد انظر: عبد الرازق المصباحي: الأنساق السردية المخاتلة، مؤسسة الرحاب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون سنة نشر.

*مصطلح الرواية المضادة: رواية تقحم القارئ في عالم ذهني لا يهدف إلى التركيز على مخاطبة القارئ بصورة مباشرة. تاركة له حرية المشاركة في تأويل الأحداث الناقصة.

Tristram shandy, An original and profound English Novel of Eighteenth century, west university of Timisora, https://pdfs.semanticscholar.org/ 24-4-2020 4pm

44- فاضل ثامر: ميتا سرد ما بعد الحداثة: مقال منشور في مجلة الكوفة، السنة 1، العدد2، شتاء 2013، ص 67

45- جورج ماي: السيرة الذاتية: تعريب محمد القاضي – عبد الله صولة، بيت الحكمة، قرطاج 1992، ص 196

46-ננסי עזר, חתירה אל מחוץ למרכז ופריצה אל תוך תוכו בשתי אוטוביגרפיות ספרותיות: 'פוסט מורטם' ליורם קניוק ו'ורד הלבנון' ללאה איני,מחקרי ירושלים בספרות עברית, כה, תשע"ו , עמ' 229

47- عبد الله إبراهيم: السرد والاعتراف والهوية: ص 21

48- انظر: السابق: ص 20، 21

49- ورد هذا في كل من الرواية ص 207 وكذا الحوار التليفزيوني الذي سبقت الإشارة إليه.

- שם עם' 10 50

51- من واقع لقاء أجراه المحاور (ديفيد ميموني) مع الكاتب يتسحاق جورمزانو في القاهرة في برنامج بعنوان: (أصوات).
file:///C:/Users/HP/Desktop/nostalgia/Yitzhak%20Gormezano%20Goren%20-%20Seeing%20The%20Voices.html
29-3-2020- 2 am

52- السابق
29-3-2020 2:10 am

52- عبد الله إبراهيم: ص 16

53- ميجان الرويلي – سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي – إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي،ط5 بيروت – المغرب، 2007، ص 170

54- السابق ص 170

55- من واقع لقاء أجراه المحاور (ديفيد ميموني) مع الكاتب يتسحاق جورمزانو في القاهرة في برنامج بعنوان: (أصوات).
file:///C:/Users/HP/Desktop/nostalgia/Yitzhak%20Gormezano%20Goren%20-%20Seeing%20The%20Voices.html
29- 2020-3-2:32 pm

56- السابق

57- חופי אלכסנדריה, 44

58- שם עם '44

59- שם עם'87

60- שם עם' 44

61- עיין, עם',90,91

62- שם עם' 53

63- שם עם' 52

64-

file:///C:/Users/HP/Desktop/nostalgia/Yitzhak%20Gormezano%20Goren%20-%20Seeing%20The%20Voices.html

1-4-2020-1 am -

65- ميجان الرويلي – سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي: ص 170

66- הרומן עם'63

67- שם עם' 60

68- دليل الناقد الأدبي: ص 175

69- חופ' אלכסנדריה עם86

70- שם עם '53

71- שם עם' 234

72- د. عبد الله إبراهيم: ص 17.

*رمي قمحي: د. رامي قمحي: ناقد إسرائيلي من أصول مصرية، يهتم بنقد الأعمال التي تناولها كتاب الأدب العبري ذوى الأصول الشرقية.

73-רמי קמחי, על מקורותיה הספרדיים הרנסנסיים של הטרילוגיה האלכסנדרונית ליצחק גירמזנו גורן, הוצאת אונברסיטת אריאל בשומרון, מורשת ישראל, גיליון 17, יוני 2019, עמ' 217- 236

*ערס פואטיקה: جماعة عرس الشعر ؛ جماعة أدبية أسست عام2013

وتضم الأدباء والفنانين الشرقيين أسسها الشاعر الإسرائيلي (عادي قيصر)، والشاعر (روي حسن)، و(إيريز بيتون).

74- שם, עם' 236

75-- חיפי אלכסנדריה, עם' 216

76-نقلا عن: محمد الباردي: الخطاب الروائي بين الواقع والأيديولوجيا، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الرابع، يوليو 1985، ص162

77- חיפי אלכסנדריה, עם' 216

78- د. محمد فوزي ضيف: صورة اليهودي المصري في الأدب العبري الحديث، دراسة في رواية صيف سكندري للكاتب يتسحاق جورمزانو جورن،,ط1 مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 1995 ، ص17

79- חופי אלכסנדריה, עם' '20-206

80- د. محمد فوزي ضيف: صورة اليهودي المصري: ص 16

81- السابق: ص 18

82- חופי אלכסנדריה, עמ' 216

83- חופי אלכסנדריה, עמ' 88

84- אבי רז, הקהילה היהודית במצרים ובני הארץ המוסלמים בראי מחהספרות היהודית המצרית במחצית הראשונה של המאה העשרים, פעמים, 102-101,תשס"ה,עמ'109-63

85- السعيد سليمان عواشرية: الأسرة وأثرها في تعزيز الانتماء للوطن – دراسة ميدانية بولاية باتنة بالجزائر، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة باتنة بالجزائر،

- https://repository.nauss.edu.sa/ 8 2020-4-22pm

86-מבוא על שייכות, סולידריות ולאומיות, עליית הלאומיות המודרנית באירופה במאה ה19, המצגת נערכה ע"י שי עבדי, היסטוריה

https://rsc.yschool.co.il/ 22-4-2020-6 pm

87- انظر سفر حبقوق: " حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع. أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلّص." سفر حبقوق 1:1،2